مجلة الآداب والعلوم الإنسانية
تصدرها كلية الآداب - جامعة المنيا
المجلد الثالث عشر أغسطس ١٩٩٤
ص. ص. ٥٧ - ١٠٨

مقدمة في نظرية بناء الشخصية القصصية في القرآن الكريم

د. / ابراهيم الحاوي
أستاذ الأدب والنقد المساعد- كلية التربية
جامعة الملك فيصل- الأحساء - السعودية

المقدمة :

ليست هذه الدراسة عرضا لقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو لتاريخهم المجيد ، وإنما هي محاولة لإظهار مدى عناية القرآن الكريم برسم شخصياته القصصية رسما قصصيا يحفظ للقرآن الكريم تفوّقه في مجال النظم القصصي وبخاصة في بناء الشخصية القصصية .

وليس غريبا أن تظهر عناية القرآن ببناء شخصياته القصصية على هذا النحو الرائع طالما أن للقصة القرآنية دورها الملموس في دفع الناس نحو العظة والاعتبار ، وطالما أنها أيضا مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم . وتؤكد على أن بناء الشخصيات القصصية في القرآن قد جاء مجاوزا لكل ماتواضع عليه النقاد القصصيون من مقومات بناء الشخصية في عالم القصة . وإذا كانت تلك المقومات ثمرة من ثمرات تقدم الفكر في العصر الحديث وتعدد نظرياته فان القرآن الكريم قد سبق جميع تلك النظريات في تأييد تلك المقومات والإمساك بها على النحو المعجز الذي ظهرت من خلاله .

ويبقى أن ننبه الى أن هذه الدراسة لم تخضع القصة القرآنية لشيء من هذه النظريات ، لأن القصة القرآنية من صنعة الله تعالى المتقنة ، فهو الذي أتقن كل شيء ، وما عداه من القول فهو القاصر ، وهو الذي يؤخذ منه ويرد عليه . على أن الدراسة في الوقت نفسه قد أثبتت تفرد القرآن في مجال النظم القصصي فوق ما قد يدعيه أصحاب هذا الفن من تطور ، وفوق ما تجيزه الموازين النقدية الحديثة في بناء الشخصية القصصية .

ولا تدعي هذه الدراسة أنها استقصت نظرية الاعجاز في بناء الشخصية في القصة القرآنية ، ولكن يمكن القول انها اجتهدت في رسم الخطوط العريضة لتلك النظرية ، مما قد يفتح آفاقا جديدة لدراسة الاعجاز البنائي للقصة القرآنية ، نرجو أن ينهض به الباحثون الفاضلون . وما أحرانا - وبيننا هذا الكتاب المعجز - أن تكون لنا هويتنا الاسلامية في تطوير الفن القصصي تطويرا يعتمد على تقنيات وضع أسسها القرآن كريم في بناء القصص بناء يجمع بين صدق الحقيقة وبراعة الأداء .

ومما يؤسف له أن نهضتنا القصصية الحديثة لم تلتفت في مراحل نموها واكتمالها الى نظرية الاعجاز القرآني في رسم الشخصيات القصصية الى نادرا ،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وشغلت نفسها بتتبع تلك النظرية في الآداب الغربية ، فأخذت منذ البدايات الأولى تترجم الأعمال القصصية المشهورة وتعربها مستهدية بالأصل الأجنبي ، نحو ما نجده في قصص مصطفى لطفي المنفلوطي الذي ترجم مجموعة أعمال قصصية ومسرحية ، كقصة (بول فرجيني) التي أطلق عليها اسم الفضيلة وكمسرحية (سيرانو دي برجراك) للشاعر الفرنسي أدمون روستان التي ترجمها تحت اسم الشاعر ، وهكذا .

وتتأثر القصة العربية الحديثة بالمذاهب الأوروبية المختلفة ، كالرومانتيكية والواقعية ، فمن أمثلة تأثرها بالرومانتيكية ما نجده في القصص التي ألفها جورجي زيدان ، والتي ظهرت آثار الرومانتيكية واضحة فيها وبخاصة نزعة الإشادة بالماضي ، والعودة الى قراءة حوادثه كقصته المعروفة باسم عذراء قريش ، وغادة كربلاء ، والحجاج ابن يوسف ، والعباسة وغيرها .

وننبه الى الدور السلبي الذي قام به جرجي زيدان في تطوير الفن الروائي العربي في تأثره بالنزعة الرومانتيكية ، اذ أن الملاحظ أنه كان لا يختار رواياته من الموضوعات التي تمثل أمجاد التاريخ العربي ، ولكنه يختار الموضوعات التي تعكس الصراعات المختلفة حول النفوذ والسلطة ، بتعبير آخر لم يتعامل جرجي زيدان مع التاريخ العربي تعامل المنصف له ، وانما أساء الى ذلك التاريخ ، والى بعض شخصياته البطولية وبخاصة حين وصف الخلفاء المسلمين في عصور التاريخ وصفا لا يليق بهم .

وتأثرت القصة العربية بالاتجاه الواقعي أيضا فظهرت الروايات التي تمثل هذا الاتجاه نحو (أبناء الشعب) لمحمد فريد أبو حديد (وعودة الروح) لتوفيق الحكيم (وخان الخليلي) و (زقاق المدق) لنجيب محفوظ وغيرها .

ولا شك في أن الروح الغربية قد أثرت في انضاج هذا الاتجاه في القصة العربية ، وبخاصة قصص الأدباء الفرنسيين أمثال (بلزاك ، وأميل زولا) ، والأدباء الانجليز أمثال (ارنولد بنيت ، وجالسورثي) وغيرهم .

ولا ريب أن الرواية العربية في رحلة تطورها قد خسرت كثيرا بابتعادها عن منهج القرآن في قصصه ، وهو المنهج الذي يؤكد أن الانسان ابن بيئته ، وأنه في سلوكه ولغته نتاج تلك البيئة ، كما أنه قابل للتغيير الى ما هو أفضل بتغيير عوامل البيئة المحيطة به ، وهذا ما أدركته المذاهب الاجتماعية والتاريخية ، والفلسفة المعاصرة الا حديثا .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد سبق القرآن الكريم أيا من هذه المذاهب ، وأكد ذلك بصورة قاطعة في منهج قصصي يقوم على الحق والواقع ، وعلى الخبر الصادق بعيدا عن الخرافات الاسطورية ، أو التصنع الخيالي الذي تفيض به الروايات الحديثة .

ولن يعجز المحللين استخلاص المنهج القصصي القرآني بكل مظاهر الصدق البياني والموضوعي والاجتماعي التي تفيض بها قصصه المباركة ، وهي تعبر عن حركة الواقع البشري وحركة المجتمعات الانسانية على مر العصور ، وقد جهدت هذه الدراسة في توضيح بعض جوانب ذلك المنهج ، ولكنها لا تعدو أن تكون لبنة صغيرة في هذا الصرح الشامخ الذي بنته الأقلام الجادة ، التي نذرت نفسها لخدمة كتاب الله الكريم ، واعلاء شأنه .

وتناولت هذه الدراسة عددا من القضايا عالجت كل قضية منها جانبا من جوانب بناء الشخصية بناء جماليا جمع بين براعة الأداء القصصي ، وصدق الحقيقة الموضوعية .

فقد تناولت القضية الأولى الحديث عن المقومات الأساسية لبناء الشخصية ، كمولد الشخصية ونشأتها وما لهما من تأثير في بناء الشخصية بناء نفسيا وجسديا جعلها قادرة على حمل رسالة السماء المباركة التي ستلقى على عاتقها .

ومن هذه المقومات صفات الشخصية وأخلاقها ، وهي صفات من شأنها أن تجعل الشخصية القصصية مثالية ، بل تجعلها دائما أنموذجا انسانيا متميزا يصح أن يظل قدوة لكل السائرين على الدرب .

والانتماء الأسري ثالث تلك المقومات التي جعلت الشخصية القصصية ذات مبدأ واضح في علاقتها بالآخرين ، وفي انتمائها اليهم انتماء يقوم على روابط العقيدة دون غيرها من روابط الدم والنسب ، تلك العقيدة التي تلغي كل ما سواها مما لا يلتقي معها في وشيجتها الكبرى .

وتناولت القضية الثانية البناء الجمالي للشخصية القرآنية من خلال طريقة تقديمها بالأساليب القصصية المعروفة كأسلوب السرد وأسلوب الحوار ، وهما أسلوبان شاعا في تقديم الشخصية القصصية في القرآن شيوعهما في سائر القصص الأدبية ، على أن الدراسة قد كشفت في هذا الفصل عن الظواهر الجمالية المميزة لهذين الأسلوبين عن غيرهما من أساليب القصص الأخرى ، وهي ظواهر معروفة في القصة القرآنية ودالة على عظمة بنائها .

وعالجت القضية الثالثة لغة القرآن الكريم التي جرت على ألسنة الشخصيات القصصية اذ اثبتت الدراسة أن منطق كل شخصية موازٍ لصفاتها ،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ونابع من ثبات تلك الصفات في أعماقها ، بحيث يمكن القول ان لغة القرآن قد راعت وهي تجري على لسان الشخصية المستوى الجمالي للغة من ناحيـــــــــة ، والمستوى الفكري من ناحية ثانية .

وبعد ، فانه من الواجب أن أسجل مشاعر الخوف التي أصابتني وأنا مقـــدم على هذا العمل ، اذ كنت ومازلت أردد بأن كتاب الله الكريم ، ودين اللـــــه العظيم ليسا من السذاجة بحيث يجريان على كل لسان ، على أن ما يشفع في ذلك لي هو أنني أقدمت على هذه الدراسة باخلاص النية لله تعالى ، وأنا أبتغـــي عفوه ورضاه .

فان كنت قد أصبت فمن توفيق الله لي ، ورحمته بي والا فأسأله التوبـــة والغفران ، كما أسأله تعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله في ميزان أعمالي .

والحمد لله أولا وآخرا .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مقومات بناء الشخصية القصصية

(١) المولد والنشأة :

عنيت القصة القرآنية بالمقومات الأساسية في بناء الشخصية القصصية ، وأول هذه المقومات مولد الشخصية ونشأتها ، فقد أولى القرآن الكريم عنايته بميلاد بعض الشخصيات القصصية ونشأتها نشأة متميزة تضمن لتلك الشخصية سلامة البناء النفسي والجسدي بحيث تصبح قادرة على حمل رسالة السماء التي ستلقى على عاتقها .

ولاهتمام القصة القرآنية بميلاد الشخصية القصصية ونشأتها دلالاته الموضوعية والفنية ، فمن الناحية الموضوعية تظهر الشخصية القصصية في صورة متميزة تستطيع التعبير عن القيم الايجابية التي تنادي بها ، وتستطيع أيضا أن تتمثل بعمق وأصالة طبيعة الدعوة الخالدة التي تدعو اليها ، لأنها تبدو ذات أصول ثابتة ، وذات تكوين سليم امتدت اليه يد العناية الالهية ، فكفلت له البيئة الصالحة لنموه ونشأته المرجوة . والشخصيات القصصية في القرآن ليست من آحاد الناس ، وليس وجودها رهن الصدفة ، وانما هي ذات مولد كريم بنيت قواعده على أسس ثابتة قد تتواصل الى الآباء الأولين الذين جمعتهم دعوة التوحيد على الحق والعدل بفطرتهم السليمة ، وهداهم الى ذلك تفكيرهم السديد .

أما من الناحية الفنية فان الاهتمام بمولد الشخصية القصصية يجعل هذه الشخصية مثالية ، ذات منهج انساني واضح ، وأنها ليست متناقضة مع نفسها أو مخالفة لما ينبغي أن تكون عليه من القدوة الخيرة . فمن خلال هذا الاهتمام تؤكد القصة القرآنية على أن الفن القصصي رؤية موضوعية ورؤية جمالية تتضح أبعادها من خلال تصنيف الشخصية على هذه الصورة الراقية والمتميزة في مولدها وصفاء نسبها ، وفي نشأتها تلك النشأة الطيبة ، فتصبح الشخصية عندئذ محط نظر المتلقي للقصص القرآني ، ونموذجا يتطلع اليه ، كما تصبح عاملا من عوامل البناء الديني والفكري والاجتماعي . وتلك هي غاية القصة .

واذا كانت القصة الحديثة نرى أن شخصية كل بطل في القصة تتكون عادة من عناصر أساسية هي مولده وبيئته وسلوكه ، والظروف التي تعترض طريقه (١) .

---

(١) دراسات في القصة العربية الحديثة . د. محمد زغلول سلام ، ص١٤ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بحيث تحفظ هذه العناصر تميز الشخصية وتسهم في وضوحها ، فان القصة القرآنية لم تغفل هذا الجانب في بناء الشخصية القصصية ، فكشفت في بعض المواقف عن طبيعة ميلاد أبطالها ونشأتهم ، وما لذلك من تأثير في فكر الشخصية وسلوكها ، مما يجعل القصة القرآنية عملا متميزا له فضل السبق والريادة . واذا كان نقاد القصة الحديثة قد أدركوا أن (نجاح القصة يتوقف على طريقة عرضها وتحليل شخصياتها)(٢) فان القصة القرآنية قد بلغت غايتها المثلى في ذلك .

وتتعدد مظاهر اهتمام القصة القرآنية بمولد الشخصية ونشأتها وفق الاعتبارات الدينية حينا ، ووفق الاعتبارات النفسية والجسدية التي تتناسب مع الرسالة التي تكلف بها .

فمن الاعتبارات الدينية التي صاحبت مولد بعض الشخصيات القصصية تلك التي نجدها في مولد السيدة مريم عليها السلام كشخصية قصصية لها دورها في تأكيد عدد من الحقائق الدينية التي ارتبطت بمولدها الكريم ، ونشأتها المباركة ، فأمها امرأة عمران قد نذرت ما في بطنها للعبادة ، ولخدمة بيت المقدس ، وأن يكون محررا لذلك مفرغا له ، لما في ذلك من اعلاء لدين الله .

وهذه أولى الحقائق الدينية . ثم تضع الأم الحمل فاذا هو أنثى ليست كالذكر في قدرتها على خدمة البيت المقدس والتفرغ لشئونه . وتطلق الأم اسم مريم على تلك المولودة ، ومريم في لغة قومها (بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب ـ الى الله تعالى ـ والطلب أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ، وان يصدق فيها ظنها بها)(٣). ثم انها عوذتها بالله عز وجل من الشيطان الرجيم ومن شروره التي قد تصرف هذه الشخصية عن تحقيق الغاية الدينية المنوطة بها . قال تعالى ((اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، واني سميتها مريم ، واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم))(٤).

وتتابع القصة القرآني ذكر نشأة الشخصية ، فتشير الى أن العناية الآلهية قد سهلت لها سبيل الحياة بما يجعلها في وضع متميز ، ومكانة لائقة

---

(٢) انظر (نقد الرواية في الادب العربي الحديث ، د. احمد ابراهيم الهواري ص ٢١٠ .

(٣) الكشاف ـ الزمخشري ، ٤٢٦/١ .

(٤) ٣٥ ـ ٣٦ آل عمران .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بها وأمثالها من الكرام الطيبين . وقد بدت مظاهر تلك العناية منذ مولدها المبارك فقد أنبتها ربها نباتا حسنا بأن (جعلها شكلا مليحا ، ومنظرا بهيجا ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين)(٥) . كما توافرت لها أسباب الرزق المادي أيضا على صورة من صور الاعجاز الالهي التي تحفظ للشخصية استمرار الحياة وفق أسباب مادية ملموسة . قال تعالى ((فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب))(٦) .

من الناحية القصصية فان ذكر مولد السيدة مريم ونشأتها على هذا النحو، وفي هذه البيئة الدينية يجعل المتلقي عالما بأبعاد هذه الشخصية القصصية ، مدركا للشأن العظيم الذي سيكون لها بعدئذ ، تلك الأبعاد التي ذكر القرآن الكريم جانبا منها حين عرض لقضية (الاصطفاء) الذي فضلت به مريم على نساء العالمين ، وهو اصطفاء من شأنه أن يجعل الشخصية القصصية محورا أساسيا في بناء قصصي متكامل حين يتواصل الحديث عن ولادة عيسى عليه السلام .

على أن هذا الاصطفاء قد جاء وفق المعايير الموضوعية للقصة القرآنية . ووفق المعايير الفنية أيضا ، اذ تقتضي المعايير الموضوعية أن يعرف المتلقي للفن القصصي القرآني طبيعة الشخصية القصصية وجوهرها ، ويدرك مدى ملاءمتها للفكرة التي تنبثق من وجودها ، فاذا به يرى شخصية قد تم تطهيرها وتم اصطفاؤها من دون سائر النساء على نحو يقطع الشك بنقاء هذه الشخصية وطهرها الحقيقي ، كما يبعد عنها الشبهات . قال تعالى ((واذ قالت الملائكة **يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**)) (٧)

(والاشارة الى الطهر هنا اشارة ذات مغزى ، وذلك لما لابس مولد عيسى عليه السلام من شبهات لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة ، معتمدين على أن هذا المولد لا مثال له في عالم الناس، فيزعموا أن وراءه سرا لا يشرف)(٨)

ومن الواضح أيضا أن هذا الاصطفاء كان بسبب ما عرف عن مريم من الصفات العظيمة التي تطلب عادة في الأشخاص المتميزين في مجتمعاتهم ، ويسعى اليها

---

(٥) تفسير ابن كثير ٣١٠/١ .
(٦) ٣٧ آل عمران .
(٧) ٤٢ آل عمران .
(٨) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٣٩٥/١ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ذوو النفوس الكبيرة التي يعمر أرجاءها الايمان ، فمريم شخصية قانته متذلله في صلاتها ، خاشعة في عبادتها . انها نفس ممتلئة تسمو دائما فوق كل شبهة أو رذيلة . ومن هنا فان شخصية مريم في اطارها الموضوعي ذات قيمة كبيرة ، وشأن بارز . أما المعايير الفنية التي نلمسها من خلال حديث القرآن عن الاصطفاء فتقضي أيضا أن يعرف المتلقي للعمل القصصي أن ترتيب الأحداث في اطار الشخصية بعد ذلك ، والخوارق التي صاحبت ولادة ابنها أمر يقبله العقل والقلب ، فليست ولادة عيسى دون أب تتيح القول بألوهيته أو ببنوته لغير أمه كما يقول السفهاء ، انما هو بشر ، شأنه شأن أي انسان يولد من سلالة من طين، ومثله عند الله - وينبغي أن يكون عند الناس أيضا - كمثل آدم خلقه من تراب.

وبهذا تنمو الشخصية القصصية على شكل ليس فيه غرابة ، وليس فيه خيال أو غموض.

وهكذا تظل القصة القرآنية رائدة الفن القصصي الحق ، الذي يرى أن مولد الشخصية وظروف نشأتها سوف تهيء الطريق للمتلقي لهذا العمل حين يحاول تفسير الغايات التي تنشدها القصة ، والأهداف التي تسعى اليها .

مولد موسى عليه السلام وتنشئته في قصر فرعون مثال سيظل حيا خالدا له دلالته القاطعة على أن مولد الشخصية في القصة القرآنية والاهتمام بتنشئتها لا يأتي عفويا ، وانما هو تدبير محكم ، وتقدير مقدر لا يعكس غايات القصة وعبرها فحسب ، بل يكشف أيضا عن جمال بنائها الفني وتسلسل أحداثها من خلال الشخصية القصصية بطريقة تعجز أرقى القصص عن أن ترتفع الى مستواها في إحكام حلقاتها ، أو حتى ترسم شخصياتها مهما برعت في ذلك أقلام كاتبيها .

الحديث عن مولد موسى يثبت أن مواليد الأبطال في القصة القرآنية من مقومات هذه القصة ومن ركائزها الأساسية ، وهو وسيلة للكشف عن أول بعد من أبعاد الشخصية القصصية بما يعكسه من أثر في نمو هذه الشخصية نموا موضوعيا ونموا فنيا يجعل القصة القرآنية حدثا عظيما في تاريخ الفكر الانساني وتاريخ الفن القصصي على حد سواء .

ونطالعنا في أول مشهد من مشاهد مولده عليه السلام أم حائفة على طفلها حائرة لا تعرف كيف تخفيه عن سيوف جزاري فرعون وهم يلاحقون الذكور من المواليد بالذبح ، وانها لا تعرف كيف تجنبه هذا القتل المؤكد ، وهي الضعيفة العاجزة التي لا حول لها ولا قوة . وهنا يتحرك المشهد في حركة فنية وحركة أخرى نفسية تجعل المتلقي مطمئنا حين يعلم أن يد القدرة الآلهية قد تدخلت لا في انقاذ الوليد من القتل فحسب ، ولكن في انقاذ الأم من خوفها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقلقها المتزايدين ، فتوحي لها بما يهدئ روعهاوتكشف لها عن الوسيلة التي تطمئن بالها ، وما هذه الوسيلة ، استمع اليها من قوله تعالى ((وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين))(٩) .

وتنتقل قصة المولد الى مشهد آخر عن مشاهدها في قصر فرعون بعد أن التقطه بعض الجواري ، فحملنه الى القصر . وتكشف القصة عن لون من الصراع في المشهد وهو ما يعرف بلغة القصة الحديثة بالحبكة الفنية وهي (عملية اختيار وتقديم وتأخير للحوادث ... بحيث يجيء السياق والنتائج موفيا بالغرض المقصود ، ولو خلت القصة من الحبكة لم تعد قصة فنية (١٠) ، وحرص القرآن على تأكيد الحبكة الفنية حين جعل موسى (الوليد) عدوا وباعثا لحزن فرعون وذلك في قوله تعالى : ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)) (١١) . وهذه الحبكة تقرب أحداث القصة الى المتلقين ، ويدفعهم الى استشعار صدقها الموضوعي والفني ، لقد انقلبت موازين فرعون وانهزمت شوكته عن طريق امرأته التي أحبت الطفل ورأت فيه قرة لعينها ، لم يهزم فرعون بآية من السماء ويذل لها عنقه ، أو غضب من الله يتركه حسيرا ، وانما هزم بالحب والحنان ، (لقد اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته بعد ما اقتحمت به عليه حصنه ، لقد حمته بالمحبة ، ذلك الستار الرقيق الشفيف ، لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال ، حمته بالحب الحاني في قلب امرأه ، وتحدث به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره ، وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف)(١٢) .

ويبدو اهتمام القصة القرآنية بمولد موسى والأثر الذي يتركه هذا المولد في بناء الشخصية وقدرتها على تحمل الرسالة وأداء الدور الذي يلقى على عاتقها ما نجده من تهيئة الأسباب التي كفلت لهذه الشخصية نشأة طيبة تجاوزت كل الشرور والايذاء التي قد تلحق به ، لقد شاءت القدرة القادرة ان ينشأ في قصر فرعون ، ويغذى بطعامه وشرابه مع محبة زوجته له ، ومحبة كل من يراه - الا فرعون وهامان وجنودهما - الذين حرموا هذا الفضل ((وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني))(١٣) .

---

(٩) ٧ القصص .

(١٠) دراسات في القصة العربية الحديثة ، د. محمد زغلول سلام ، ص١٣ .

(١١) ٨ القصص .

(١٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٢٦٧٩/٥ .

(١٣) من الآية ٣٩ طه .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فمن الناحية الفنية القصصية فان هذا النشأة قد جعلت صراع موسى مع فرعون فيما بعد صراعا له أبعاده المأساوية حين تواجهه الشخصية القصصية الرجل الذي تربت في بيته ، وطعمت من طعامه ، تواجهه بما يمليه الوعد الحق، والواجب الديني ، انها تواجهه بكل الشرور والآثام والذل الذي اعتسف بهما القوم وتضعه أمام حقيقة طغيانه . تلك التي تزلزت عروشها أمام حقيقة التوحيد والدعوة الى الله .

ثمة ظاهرة نرصدها من خلال مولد هذه الشخصية وأثر ذلك في بنائها وهي أن نشأة موسى في قصر فرعون قد منحته تجربة نوعية في حياته ما كانت لتصيبه لو لم ينشأ هذه النشأة ، فحياة القصور وما فيها من ترف ونعيم واجواء خاصة تطبع النفس البشرية بطابع معين ينبغي على البطل القصصي معرفته واكتساب الخبرات منه ، لما في ذلك من ضرورة لحمل الرسالة ضمن مهارات عديدة تكتسبها الشخصية في انماط الحياة المختلفة التي تمارسها .

ينتقل المشهد الثالث من قصة مولد موسى الى الأم الوالهة الحزينة التي أصبح فؤادها فارغا من أي أمر من أمور الدنيا الا من موسى ، ومما انتهى اليه مصيره .

ومما لا شك فيه أن انتقال القصة عبر مشاهد عديدة لحالة الأم هو انتقال واقعي لسير الأحداث القصصية وتسلسلها ، فهو يوحي بتتابع الحدث في مراحل متلاحقة ومرتبطة ارتباطا موضوعيا تبدو الأفكار من خلاله متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض في بناء قصصي شائق ، يترك في أعماق المتلقي أثرا ايمانيا ملموسا وهو يستشعر صدق الحدث ونموه الطبيعي في صورة من صور الواقعية التي أجهد منظرو القصة الحديثة أنفسهم في التأكيد عليها حين قرروا أن (الواقعية التي نريدها للقصة الفنية الكاملة ليست هي الواقعية التي يشهد بصدقها المؤرخون ، وتقوم الوثائق دليلا على صحتها ، لكنها الواقعية التي تلقي في روع القارئ أنها صحيحة)(١٤) .

ونؤكد على أن واقعية القصة القرآنية يصدقها المؤرخون من جهة ، ويصدقها القارئ من جهة ثانية . فكأن أطراف الفن تجاذبتها من نواحيها المتعددة . ونتابع أحداث هذا المشهد ، فتظهر لنا شخصية الأخت المدفوعة للبحث عن أخيها في الأسواق والأماكن العامة علها تجد له أثرا ، أو تسمع عنه خبرا ، فها هي ذي تقص أثر الوليد هنا وهناك دون أن يشعر بها أحد ، حتى

---

(١٤) فنون الأدب ـ لتشارلتن ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، ص١٤٠ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وضعت غيناها على أخيها والقوم يبحثون له عن مرضع فقبل ثديها بعد أن امتنع عن قبول أي من المراضع اللاتي عرض عليه في قصر فرعون ، وكان امتناعه عنها تحريما قدريا لكرامته عند الله وصيانته له أن يرتضع غير ثدي امه)(١٥) ، فتتقدم هذه البنت وتعرض عليهم تلك المرضع التي تنتظر وليدها بصبر عظيم ، فيوافق القوم على ذلك ويعهدون لها بالطفل ، ((وقالت لاخته قصيه ، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ، ولتعلم أن وعد الله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون))(١٦)

وهكذا ينتهي المشهد بعودة الطفل الى أمه وهو محاط بالرعاية ، تحميه العناية الآلية التي سخرت له ولأمه أسباب الأمن ، وراحة البال وقرارة العين والنفس .

وهنا ينتهي المشهد الأخير من قصة مولد موسى عليه السلام . من الناحية الفنية فان هذا المشهد يشكل النهاية المريحة ، والخاتمة القصصية المطمئنة . وهو الحلقة الأخيرة في هذا البناء القصصي المتميز الذي تنتجمع خيوطه لتتماسك في وحدة موضوعية وفنية تظل الشخصيات القصصية فيها نقطة ارتكاز تحدد سير تلك الأحداث ، ومعطياتها الايمانية منذ المراحل الأولى في حياة هذه الشخصية .

نشأة سيدنا يوسف عليه السلام وفق المنهج السديد لهذه النشأة ، والتدبير المحكم لمراحلها مظهر واضح لاهتمام القصة القرآنية بميلاد شخصياتها القصصية ونشأتهم في ضوء تدابير حكيمة لها آثارها الواضحة في تنمية هذا الشخصية بما يحقق الاغراض العظيمة ، والغايات المرجوة التي تطلع بها الشخصية .

عرضت قصة نشأة يوسف في مشاهد قصصية تؤكد عمق الاحساس ببراعة القصة القرآنية وبنائها بناء فنيا يتعانق فيه الموضوع بالشكل ، ويجتمع الوجدان فيه بالجمال . وأول مشهد في هذه القصة هو مشهد الرؤيا التي رآها يوسف في سن مبكرة من حياته ، ثم توجهه عقب ذلك الى أبيه ليخبره بأمر ما رأى : ((اذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ، ان الشيطان للانسان عدو مبين))(١٧) .

---

(١٥) ابن كثير ٣/٣٢٧ .
(١٦) ١١ - ١٣ القصص .
(١٧) ٤ ، ٥ يوسف .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هكذا تبدأ قصة نشأة يوسف . ومن هذه البداية يدرك الأب أن لابنه شأنا سيعرضه للخطر والكيد ، وسيكون مثار حسد ومبعث كيد له .

من الناحية الفنية يمثل هذا المشهد البداية المرموقة للفن القصصي حين يدرك المتلقي أنه بازاء عمل ضخم فيه من الدهشة والعمق الشيء الكثير ، ويدرك أيضا أنه بازاء شخصية قصصية تبدو منذ مراحلها الأولى على قدر كبير من العظمة والاجلال حين تتصل - أول ما تتصل - بالسماء ، فترى النجوم والشمس والقمر تسجد اجلالا واكبارا .

ان الرؤيا تمثل عبورا فنيا للقصة بأكملها والحلقة الأولى التي تتبعها حلقات تشكل في مجموعها المنهج المتكامل للبناء القصصي المتميز ، وهي البداية التي مهدت لأحداث القصة بشكل متلاحق ضمن اطار من الصدق الموضوعي والصدق الفني حتى كانت نهاية القصة تحقيقا لهذه الرؤيا وتأويلا لها ((فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ، ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ، قد جعلها ربي حقا))(١٨) . لذلك فان مشهد الرؤيا يمثل البداية الحقيقية لعمل قصصي عظيم تتجمع عنده كل خيوط هذا العمل وتلتقي حوله سائر الأحداث .

كما أن استخدام القرآن الرؤيا وسيلة لتوضيح بعض الأبعاد المتعلقة بالشخصية القصصية ينبيء عن شيء من عظمة العمل القصصي ، وهذه الوسيلة في نظر النقاد القصصيين من أنجح الوسائل في كشف الدوافع النفسية للشخصية القصصية في الرواية المعاصرة ، وهي في نظرهم ثمرة من ثمرات العصر الحديث ، عصر العلم وعصر اكتشاف نظريات علم النفس ونظريات تفسير الأحلام وغيرها .

ولكن ها هو ذا القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة استخداما يمزج بين روعة الفن وصدق الحقيقة وهي في نظر النقاد ضرب من ضروب المعالجة الفنية ، مثلها مثل طريقة تيار الوعي أو المنولوج الداخلي (١٩) .

يرتفع الستار في المشهد الثاني من قصة نشأة يوسف على الإخوة وهم يدبرون مكيدة شنيعة لأخيهم ، انهم يحققون ما توقعه الأب البار من كيد الإخوة ليوسف وحقدهم عليه .

---

(١٨) ٩٩ ، ومن الآية ١٠٠ يوسف .

(١٩) انظر دراسات في القصة العربية الحديثة ، د. محمد زغلول سلام ، ص٢٤ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من الناحية الفنية نجد أن هذا المشهد قد أحكم بناؤه وفق ما يقتضيه الفن القصصي الراقي ، ونرصد في ذلك بعض المظاهر التالية منها : أن هذا المشهد قد بدأ بتمهيد يشبه رفع الستار في الأعمال المشاهدة بحيث يجعل المتلقي يدرك انه مقبل على أمر عظيم ، فيتوجه بفكره وأحاسيسه نحوه ، فقد بدأ المشهد بقوله تعالى: ((لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين))(٢٠).

ومن السائلين هؤلاء بعض من النظارة أو المستمعين الذين سيتلقفون هذا الخبر بكل الاهتمام والحرص على متابعة الحدث . فهذا التمهيد يعد - فنيا - من البدايات الراقية في الأعمال القصصية العظيمة .وهو بمثابة الارهاص الذي يمهد للحدث قبل وقوعه ، حتى اذا ما جاء كان القارئ على علم بالتطورات التي أدت اليه (٢١) .

ثمة مظهر آخر يشكل جزءا من البناء الفني للعمل القصصي يتمثل في مؤامرة الاخوة التي تعكس أبشع أنواع المؤامرات التي ينفر منها أفراد المجتمع وهي القتل . ولكن القصة ترفض أن تتوتر فيها أعصاب المتلقين لأنه مع التوتر تتبدد المشاعر ، وينتفي التفكير السليم ، وقد تضيع الغاية المرجوة والعظة الكاملة من القصة ، فيطالعنا المشهد بصوت يقلل من بشاعة الجرم ويهون أمره ، صوت فيه من التعقل وحيوية الضمير ما يجعلنا مشدودين الى الحدث غير منصرفين عنه ، صوت يقول : ((لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب ، يلتقطه بعض السيارة أن كنتم فاعلين))(٢٢) ، فمن الناحية الفنية فان هذا الموقف - أوقل هذا الصوت - يبقى العمل القصصي في المستوى الابداعي المتميز له لأنه يعطي الحقيقة للمشاهد مخففة ، لا ترهقه تفكيرا بتوترا . كما يحفظ للعمل القصصي نموه بعد ذلك ضمن حلقات متتابعة تظل الشخصية القصصية محورا لها ، ومركزا لتطورها .

يمثل المشهد الأخير من مشاهد نشأة يوسف النهاية المؤلمة لمؤامرة الإخوة حين يلقى يوسف في البئر. وتتحرك الأحداث في هذا المشهد بشكل مفاجيء وسريع. فهذه القافلة ترسل من يحضر لها الماء ، فيتعلق يوسف بالدلو ، وتكتب له النجاة . وهنا يدرك المتلقي مدى احاطة هذه الشخصية بالعناية الالهية ، فتطمئن نفسه الى ذلك ، ويستشعر قيمة هذا العمل القصصي واحكام بنائه .

---

(٢٠) ٧ يوسف .

(٢١) دراسات في القصة العربية الحديثة ، د. محمد زغلول سلام ، ص٢٩ .

(٢٢) من الآية ١٠ يوسف .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومهما يكن من أمر ، فقد زهدت القافلة في يوسف كما زهد منه اخوته من قبل ، فلم تحتفظ به ، وكتمت خبره ، بل أسرته بضاعة يمكن أن يستفاد من ثمنها القليل .

وتظهر عناية القصة القرآنية بتنشئة الشخصية في كل الظروف بحيث تجعلها قادرة على تحمل الرسالة من جهة ، كما تجعلها قدوة صالحة ، ومثالا يحتذى في عقيدتها واخلاقها من جهة ثانية ، انها تهيئ لها نشأة طيبة تسهم في نماء الشخصية القصصية نماء جسديا ونفسيا . فها هو ذا عزيز مصر يشتري يوسف من القافلة ، ويتوسم الخير فيه الى درجة أنه يمكن أن يكون ولدا له ولزوجه ، فيعهد لها برعايته وكفالته . فيمضي يوسف شطرا من حياته في قصر العزيز حتى يستوي عوده ويشتد ، ويبلغ سن الشباب .

وينتهي المشهد الأخير من مشاهد نشأته المباركة بعد أن أكدت تلك المشاهد عددا من القيم الموضوعية والفنية التي تعرف للقصة القرآنية . وحسبنا من الناحية الموضوعية أن نلمس في هذا المشهد قيمة ايجابية عظيمة منحت الشخصية صفة النموذج الذي يتأسى به ويحتذى حذوه ، ففي موقف امتهان يوسف والزهد فيه من قبل الأخوة ومن قبل القافلة تسلية للرسول الكريم وتسريه عنه عما يصيبه من امتهان وأذى من قبل المشركين .واعلام له بأن الله تعالى قادر عليهم قدرته على أخوة يوسف من قبل ، ولكنه تعالى سيملي لهم ثم يجعل العاقبة والحكم عليهم كما جعل ليوسف الحكم والعاقبة على اخوته .

وهكذا يسدل الستار على قصة نشأة يوسف عليه السلام ، وهي نشأة عرضتها القصة القرآنية ضمن المنهج الاسلامي المتميز للقصة القرآنية الذي يجمع بين صدق الحقيقة وارادة الجمال .

(٢) <u>الصفات والاخلاق :</u>

من مقومات الشخصية القصصية في القرآن ما تنطوي عليه تلك الشخصيات من الصفات العظيمة ، ومن المبادئ الخلقية التي تعتنقها فتجعل من تلك الشخصية المثال المنشود ، والنموذج المتميز في الحياة الانسانية حين تقتنص تلك الحياة على المبادئ والقيم ، وتتجاوز الرذائل والمنكرات ، وحين تظل تلك الحياة في دائرة الفطرة السليمة التي فطرت عليها ، وفطر عليها الناس ، فتضاءى الشخصية القصصية داخل هذا المفهوم مشعلا يضيء للسالكين سبل الظلام ، وعلامات على الطريق لا يحيد عنها الا الجاهلون ، ولا يتنكبها الا المقصرون .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ان الفن القصصي في القرآن الكريم ليؤثر في المتلقين بشخصاته القصصية التي تعبر تعبيرا مثاليا يرفع المجتمع الى المستوى الانساني اللائق به ، كما أنها تضرب له المثل الحي في الصفات التي ينبغي أن يتصف بها ، والأخلاق التي تنظم حياته ، فهي شخصيات تعكس دائما مجموعة القيم التي يفترض ان يتعايش بها الناس ، ويتعاونوا على إرساء قواعدها فيما يعود عليهم جميعا بالحياة الآمنة المطمئنة .

وقد حرصت القصة القرآنية على تحديد بنية الشخصية النموذجية ، وعلى توضيح صفاتها ، اذ كانت تلك الشخصية – ومازالت – القدوة المثالية لسائر أبناء المجتمع ، لا تكاد تدعو المجتمع الى تغيير أخلاقه التي يتصف بها ، وقيمه التي تعارف عليها ، ومبادئه التي ضل الطريق من خلالها حتى تكون تلك الشخصية هي السباقة الى ذلك التغيير ، فتبدأ بنفسها قبل غيرها .

لذا فالشخصية القصصية دائما منتصرة على نفسها ، رافضة لكل ما تواضع عليه قومها من تلك القيم والمبادئ الساقطة ، وهي تتسم بالقوة وعدم اليأس على أن انتماءها للعقيدة يظل السمة الغالبة عليها ، وهو انتماء يسمو فوق كل انتماء سواه ، كما يعد المحرك الأول لتصرفاتها ، والطابع الغالب على اخلاقها في الحياة ومع الناس .

ويجد المتدبر للشخصية القصصية في القرآن أنها شخصية قادرة على أن تنقل الفرد الى عالمها العظيم ، عالم الايمان والنور ، فتدفعه للتعامل معها تعامله مع القدوة الصالحة والنموذج الخير في الحياة ، انها قادرة أيضا على أن تدمج المؤمن الواعي بها في عالم فسيح من الاقبال على الحياة والعمل من أجل بنائها وفق المنهج السليم الذي يقتضيه ذلك البناء دون أن يفسد اخراه ، أو يحرم ثوابها ، بالتعبير القصصي إنها شخصيات حية قادرة على أن تجعل القارئ متعاطفا معها ، من هنا فقد أوجب نقاد القصة أن تكون (الشخصيات حية ، يريد القارئ أن يراها وهي متحركة ، وأن يسمعها وهي تتكلم ، يريد أن يتمكن من أن يراها رأي العين)(٢٣) .

ان الشخصيات القصصية في القرآن ليست شخصيات مسطحة أو شخصيات ذات أبعاد محددة ، كما أنها ليست شخصيات نمطية مصنوعة لأغراض معينة ، انما هي نماذج وعلامات بارزة على الدرب لكل الأزمان والعصور ، ويتميز كل منها

---

(٢٣) الأدب وفنونه ، د. عز الدين اسماعيل ، ص١٩٢ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بالقوة وبذكاء الفطرة ، وصفاء النفس ، واشراق الروح ، بحيث تحفظ لها هذه الصفات وجودها الدائم ، وتجددها المستمر .

ويستطيع المتتبع لصفات الشخصيات القصصية واخلاقها في القرآن أن يدرك عددا من هذه الصفات بيسر وسهولة ، وبخاصة تلك الصفات التي كانت طابعا مميزا لغالبية تلك الشخصيات . ونحب أن نقرر أن القصة القرآنية في تأكيدها على هذه الصفات انما ترسي قواعد ثابتة للمجتمع من خلال ضبطه بهذه الأخلاق والصفات التي كانت عنوانا للفضائل عند أشراف الخلق من الرسل ، والتي استطاعوا من خلالها توصيل رسالة السماء - بكل قيمها وفضائلها - الى الأرض على هذه الصورة المشرقة من صور غناء النفوس حين يجملها الايمان ويعمرها التقوى .

لذلك فاننا لا نبعد كثيرا اذا قلنا ان أبرز صفات الشخصيات القصصية واخلاقها مستمدة من قيم الايمان المطلقة ونابعة منه ، فمن هذه الصفات مثلا صفة (التوكل على الله تعالى) وهي صفة تميزت بها معظم الشخصيات القصصية في القرآن ، وامتلأت بها نفوسهم ، وعمرت من فضائلها أخلاقهم . فنوح عليه السلام قد قابل تذمر قومه من وجوده بينهم ، وتذكيره لهم بعظمة الله تعالى وآياته الواضحة بأن أسلم أمره الى الله تعالى وتوكل عليه ، ولجأ اليه ، فهو تعالى الكفيل بأرزاق العباد ، قال تعالى : ((واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ، فعلى الله توكلت))(٢٤) .

ويتحقق مفهوم التوكل على الله فيما يعنيه من كفالة الرزق ، والحفظ ، والقيام بجميع ما خلق على لسان هود بقوله تعالى ((اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ، ان ربي على صراط مستقيم))(٢٥) .

وعلى لسان شعيب أيضا الذي حرص على اصلاح أحوال قومه فما اختلف جوابهم عن جواب سابقيهم . ولم يكن تعنتهم الا جهلا وغرورا ، فرد عليهم بقوله تعالى ((قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا ، وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ، ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب))(٢٦) .

---

(٢٤) من الآية ٧١ يونس .

(٢٥) ٥٦ هود .

(٢٦) ٨٨ هود .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويوكل يعقوب عليه السلام أمره الى الله تعالى ، ويتوكل عليه فيما أصابه من فقد ولديه فقال ((ان الحكم الا لله عليه توكلت ، وعليه فليتوكل المتوكلون))(٢٧) .

وهكذا تظهر صفة التوكل على الله في أخلاق هذه الشخصيات القصصية ، وهي صفة تميز الشخصية القصصية بوصفها نموذجا غنيا في جوانبه النفسية والخلقية ، بحيث يمكن أن تكون هذه الصفات قواعد ثابتة للناس يسيرون عليها ، وينطلقون من معطياتها الفنية ودلالاتها المتنوعة . وقد حرصت القصة القرآنية على تأكيد هذه الحقيقة في مواضع عديدة ظهرت متفرقة في اخلاق الشخصيات القصصية ، ثم اجتمعت بشكل ثابت في قوله تعالى وهو يقص خبر جميع الرسل ، وما واجهوه من تعنت أقوامهم ، ورفضهم للمبادئ العظيمة التي جاءوا بها ، فكان رد أولئك الرسل بمثابة ركائز تعكس غاية من غايات القصة ، وهدفا من أهدافها التي تنكشف من خلال الشخصيات القصصية ، فما جاء في هذا الرد قوله تعالى ((قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما أذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون))(٢٨) .

وبالمثل يقال عن خلق النصيحة ، فهو خلق عام تمثل في معظم الشخصيات القصصية وجرى على لسانها . وهذا الخلق من الناحية القصصية يميز الشخصية بالايجابية ، ويجعلها شخصية فاعلة ، واعية للدور الذي تؤديه ، مما يجعلها شخصية مثالية تنزع الى الكمال في اخلاقها وصفاتها ، كما أنها تضع أسس المنهج السليم الذي ينبغي أن يتصف به الداعون الى الله ، والمبلغون رسالاته تعالى الى الأرض ، وبذلك تتجاوز هذه الشخصيات ذاتيتها الخاصة لتؤثر في غيرها على مساحة عريضة من الزمان والمكان ، وتلك غاية من غايات الفن ومن أهدافه المرجوة . فنوح عليه السلام قد جادل قومه في منهج الله تعالى ، ونصح لهم بضرورة اتباعه ، وكذلك فعل سائر الأنبياء . لقد وصف القرآن الكريم بعض الانبياء بخلق النصيحة في أكثر من موضع . فمما ورد على لسان نوح قوله تعالى ((أبلغكم رسالات ربي وأنصح لك)) ٦٢ الأعراف

وقوله أيضا ((ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم)) ٣٤ هود
وعلى لسان هود ((أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين)) ٦٨ الأعراف

---

(٢٧) من الآية ٦٧ يوسف .
(٢٨) ١١ ، ١٢ ابراهيم .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويجد المتتبع لصفات الشخصية وأخلاقها أن القصة القرآنية قد عنيت برسم الشخصيات وفقا لمعايير محددة ، وصفات ثابتة تعد مقوما هاما من مقومات الشخصية ومن أسس بنائها البناء الموضوعي والفني ، وقد منحت كل شخصية ملامح خاصة ظلت تعرف بها في جميع مراحل حياتها القصصية ، وفي جميع مواقفها ، كما ظلت تميزها عن سواها من الشخصيات . فمما لا شك فيه أن صفات ابراهيم في القرآن مثلا تختلف عن صفات موسى ، وكلاهما يختلف عن يوسف وهكذا ، وهذا الاختلاف مرده بالدرجة الأولى الى الاعتبارات الفكرية والاجتماعية المرتبطة بمقدرة الشخصية في عملية التغيير العقائدي والاجتماعي الذي ستقوم به ، بحيث يمكن لها أن تواجه عملية التغيير تلك بكل صلابة وقدرة ، أو أن تتمثل بعمق وأصالة جوهر الصراع مع غيرها . بيد أن هناك اعتبارا آخر أسهم في تعدد صفات الشخصية القصصية واختلافها بشكل بين ، هذا الاعتبار له وجهه الاعجازي الدال على عظمة القصة القرآنية ، وهو اختلاف كل شخصية قصصية في صفاتها عن الأخرى سيشكل في النهاية شخصيات متنوعة لا تختص بفئة معينة من الناس ولا بطبقة واحدة ، وانما تنسحب على الانماط الانسانية المختلفة ، فاذا هذه الشخصيات صورة مصغرة للجنس البشري كله . ونماذج مثالية له ، مرسومة بوضوح على درب الحياة وضمن حركتها المستمرة ، يستفاد منها ما دامت العقول واعية ، والبصيرة يقظة ، اننا نستطيع أن نتحسس في تلك الشخصيات صورة الفضائل التي تستقيم بها الحياة ، والقيم التي تبنى عليها النفوس ، ان الشخصية القصصية في القرآن نموذج انساني متميز ، له مثله العليا التي يتطلع اليها دائما . على أن ما يميز تلك الشخصية أنها تستخدم في القصة القرآنية لتوضيح هدف عظيم ، وغايات بعيدة المدى ، وهي ذاتها ، التي تخدم هذا الهدف وتلك الغايات وليس العكس ، اذ المهم في القصة القرآنية ان يتكشف المنهج الذي تلتقي عنده الاحداث ، والقانون الذي ينظم حركة الحياة . من هنا فان الشخصية القصصية في القرآن ليست محورا تتضافر عناصر القصة لابرازه ، وانما أداة لتوضيح قيم الايمان وقيم الحياة الايجابية ، وتلك ظاهرة فنية متطورة في البناء القصصي حين ينزع الى المضمون الجيد ، وحين يحركه الفكر الهادف ، ان (البطل الحقيقي في قصص القرآن ليس اذن هو هذا الانسان بذاته الذي تدور به أو من حوله أحداث الخبر ، البطل هو القانون التاريخي المرتبط بعقيدة الانسان واخلاقه وسلوكه . البطل هو هذا القانون الذي تظهر نتائجه في أقوال وأفعال الانسان المؤمن أو الكافر ، صحيحة الآثار في الجماعة التي يعبر عنها أو التي يعارضها ، البطل مثلا ليس يعقوب وأولاده ، وانما هو الهداية في يعقوب ، والردة في أولاده ، البطل ليس يوسف وصاحبته ، وانما هو الطهارة والامانة في يوسف ، والشهوة والخيانة في صاحبته ، وهكذا في مختلف المواقف يكون الانسان بهداية الايمان أو ضلالة الكفر رمزا لقانون يحكم وينطق فيه)(٢٩) .

---

(٢٩) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح - أحمد موسى سالم ، ص ١٢٢، ٣١٣ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وصفات الشخصية القصصية منسجمة تماما مع الدور الايماني الذي ألقي على عاتق كل شخصية . ولا شك في أن القصة القرآنية تتربع قمة الفن القصصي حيث تجعل الشخصية القصصية متكافئة تماما مع الحدث ، قادرة على حمله دون أن تنوء بعبء التكليف ، مهيئة بالصفات الباطنية والخارجية التي تمكنها من أدائه في كل الأحوال وفي ظل أقسى الظروف .ولعل هذه الظاهرة من الظواهر الفنية التي ألح عليها النقاد القصصيون في حديثهم عن بناء الشخصية في القصص الحديث ، فلقد أوجبوا على القاص أن (لا يعزو - الى الشخصية القصصية - من الصفات الا ما يبرر موقفها تبريرا موضوعيا في محيط القيم التي تتفاعل معها)(٣٠) . ان القصة القرآنية حين تخلق شخصياتها بالمعايير المحددة لها ، والصفات المقدرة لكل شخصية فيها انما تضع أساسا من أسس بناء الرواية يتمثل في عظمة الدور الذي ينبغي أن تؤديه الشخصية القصصية . وهو دور عده النقاد القصصيون من أهم الأدوار في الرواية الحديثة ، يقول أرنولد (ان أساس الرواية الجيدة هو خلق الشخصيات ، ولا شيء سوى ذلك)(٣١) .

وهكذا نرى الشخصية القصصية من خلال صفاتها قد أكدت قوانين الحياة لسائر البشر ، بحيث تظل تلك الشخصية قدوة مثالية لهم ، وبذلك (تتجاوز حدود الشخصية المعنية الى الشخصية النموذجية)(٣٢) .

(٣) الانتماء الأسري :

ثالث مقومات بناء الشخصية القصصية في القرآن ، وقد أسهم انتماء الشخصية للأسرة في توضيح المفهوم الصحيح لمعنى الانتماء وفق الاسس الجديدة التي أرستها شريعة السماء المباركة . لم يعد انتماء الشخصية لاسرتها محض تعلق بقرابات الدم والنسب على حساب الدين مهما كانت صلة القرابة هذه ، بل ان الانتماء الصحيح هو انتماء العقيدة التي تعلي شأن القرابة ما لم تصطدم بأوامر العقيدة ، والتي في الوقت نفسه تؤكد على ضرورة التمسك بالأسرة ان كان سلوكها نابعا منها ، ومنبعثا من قيمها ، والا فلا قرابة تغني ، ولا نسب يشفع (ان العقيدة هي العروة الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الانسانية ، فاذا انبتت وشيجة العقيدة انبتت الاواصر الأخرى من جذورها ، فلا لقاء بعد ذلك في نسب ولا لقاء بعد ذلك في مهر ، ولا لقاء بعد ذلك في قوم ولا لقاء بعد ذلك في أرض) (٣٣)

---

(٣٠) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ٥٣٠ .
(٣١) نظرية الرواية في الأدب الانجليزي ، د. أنجيل بطرس سمعان ، ص١٧٢ .
(٣٢) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط ٧ ، ص٢٠٠ .
(٣٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ١٧١٢/٣ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من الناحية القصصية فان انتماء الشخصية لاسرتها وفق المفاهيم العقائدية التي نادت بها , ووفق القيم الانسانية التي دعت اليها يجعلهما دوما شخصية نموذجية لم يعرف مثلها في تاريخ الفكر الانساني على الاطلاق , كما يجعلها متجاوزة دائما لكل الانماط البشرية المثالية التي يصنعها القصاصون في أعمالهم القصصية وورواياتهم , ان هذا الانتماء يكشف عن جوهر أصيل في النفس البشرية يمكن لاي انسان أن يبعثه في مواقف الحكمة والتمسك بالدين , انه يمنح النفس البشرية صفاء دينيا يدفعها لأن تعلن براءتها من كل من يعارض الدين ويرفض مبادئه السمحة , انها تتنصل بكل صلابة من أعداء الله ولو كانوا أباء أو اخوانا أو أزواجا أو ذرية . لقد أعلنت الشخصية القصصية ذلك كله من خلال مواقف عملية حفظت للقصة القرآنية روعتها في تاريخ الأدب الانساني , كما حفظت للقصة القرآنية شموخها في تاريخ البطولة .

لم يكن الانتماء الاسري للشخصية القصصية في القرآن يخضع لما تعارف عليه البشر , كما أنه لم يتشكل التشكيل المعروف حسب ما تفرضه قوانين الأسرة ونظمها على الأفراد , مما هو ملموس في القصص الحديثة , فكثيرا ما تفرض ظروف الأسرة وطبيعة علاقة المحبة السائدة بين أفرادها قيما على البطل تمنحه سلوكا محددا لا ينبغي له أن يتجاوزه ولو كان هذا السلوك طمسا للحق , واعلاء للباطل , أو كان فيه اهمال بالواجب وانتصار للظالم وما الى ذلك . وقد يدفعه ذلك ايضا الى التنازل عن مبادئه الفكرية وقيمه الايجابية , لكن الأمر في القصة القرآنية مختلف تماما , فان انتماء الشخصية القصصية للاسرة لم يكن يوما ذريعة لتبرير السلوك أو وسيلة لالتماس الاعذار , بل انه وسيلة لنشر القيم وتعميق معاني الدين . وتفخر الشخصيات القصصية بانتمائها الاسري اذا توافقت مواقف الاسرة مع مواقف الدين والعقيدة , والا فانها سرعان ما تنفصل عن أقرب المقربين اليها .

والجدير بالذكر أن الانتماء الأسري للشخصية القصصية في القرآن قد ظهر من خلال عاطفة الأبوة والبنوة , وعاطفة الاخوة , والعاطفة الزوجية , وقد اكتسبت هذه العواطف مفهومها الواضح الذي ينبغي أن تقوم عليه في الحياة ضمن القواعد الايمانية السليمة , فحددت العلاقة بين الأب وابنه , والابن وأبيه , والأخ بأخوته , والزوج بزوجه وهكذا .

ويمكن أن نتلمس أبعاد الانتماء الأسري للشخصية القصصية وأثر هذا الانتماء في بناء الشخصية من مواقف عديدة عرضتها القصة القرآنية في مراحل وجودها المتتابعة عبر مسيرة البشرية منذ سيدنا نوح عليه السلام أقدم الأنبياء والرسل على الأرض.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد ضرب نوح في علاقته بابنه مثلا للأبوة الحقيقية حين تخضع غريزة المحبة بين الأب وابنه لاعتبارات العقيدة ، وتضرب بتلك العاطفة عرض الحائط في سبيل اعلاء كلمة التوحيد ، ان تلك الشخصية تضع من خلال تلك العلاقة أسس القرابة القوية ، وهي أسس تنبع من قرابة الدين ، ووشائج العقيدة وليس لها أساس آخر مهما كانت قوته ، وعلا شأنه . ان شخصية نوح تضع المنهاج القويم الذي ينبغي أن ينظم علاقة المؤمن بغيره ، مهما تقاربت الصلة بين الاثنين ، فالمؤمن يتبرأ من غير المؤمن اذا لم يلتق به على الايمان وعلى توحيد الالوهية والربوبية توحيدا لا شرك فيه .

لقد صورت القصة القرآنية موقف نوح مع ابنه تصويرا لا يكشف عن طبيعة الموقف ذاته فحسب ، بل يكشف أيضا عن طبيعة النفس البشرية في نوازع الخير ونوازع الشر ، لقد كان نوح مثالا للنفس الخيرة التي تبتغي الخير لقومها وأسرتها ، انه مثال الابوة الكريمة في صورها المشرقة حين يعز عليها عنت المقربين لها ، فضلا عن أن يكونوا من أصلابها ومن قراباتها القريبة . وكان الابن مثالا للنفس الشريرة حين تستحب العمى على الهدى ، والباطل على الحق ، وتضمر الكفر غير مكترثة بنداء الأبوة الصادقة وما تدعو اليه من مبادئ الدين وقيم الايمان .

إنها الغريزة الحقة ، والفطرة السليمة التي فطر الناس عليها في علاقاتهم وفي حبهم بعضهم البعض . وهنا يبدو للقصة القرآنية منطقها السليم ، ومعقوليتها التي لا يجادل فيها .

ثمة ظاهرة قصصية نلمحها في بناء شخصية نوح ، ويعكسها موقفه من ابنه الضال ، وهي سرعة استجابة الأب للتخلي عن أبوته في سبيل العقيدة ، وادراكه للحد الذي ينبغي أن تقف عنده عواطف الأب تجاه ابنه ، فلا يكاد يعرف اصرار ابنه الكفر حتى يرى أن توجهه الى ربه تعالى في طلب النجاة لهذا الابن ذنبا يستحق ان يستغفر عنه ، ويرحم لأجله ، ((قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين))(٣٤) .

وهكذا تظل شخصية نوح متميزة في موقفها ، محافظة على مثلها ، مؤكدة للمبدأ الذي تنادي به ، لا يحملها حب الولد أو قرابة دم على تغيير هذا المبدأ أو التراجع عنه .

---

(٣٤) ٤٧ هود

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ونحب أن نقرر أن موقف نوح من ابنه قد تم وفق بناء قصصي متميز في الأداء سواء من حيث الحدث ذاته أو من حيث بناء الشخصية ، بل ان الشخصية قد قدمت في اطار الحدث بشكل متقن ومحدد ، تجاوز كثرة التفاصيل التي قد تصيع معالم الشخصية ، والتي قد تحد من حركتها ، فهي قد تركت للمبدأ الأساس الأهم في هذا البناء ، وهذه الظاهرة الفنية غير المسبوقة في القصص القرآني قد صارت اتجاها من اتجاهات الفن القصصي الجديد في الآداب الغربية يتمثل في إهمال البطل بمعناه الشائع ، وفي أن تصبح غاية القصة الأولى هي الكشف عن جوانب الموقف ، وعن أصدائه النفسية ، وصار يسمون أدبهم أدب المواقف (٣٥). على أن ما يميز هذا البناء أيضا أن مثل هذه المواقف قد عرضت ضمن معالجة فنية راقية ، وليس من خلال سرد الأحداث أو سياقة الانباء ، ليظل للقصة عناصر التشويق والاثارة الدافعة الى تأكيد معطياتها الدينية في نفوس المتلقين للقرآن .

ويقابل هذه البنوة العاقة من ولد نوح بنوة سمحة كريمة اختلفت مع الأبوة بسبب العقيدة ، وبدافع الاخلاص للدين ، انها بنوة ابراهيم عليه السلام . لقد اقتضت طبيعة الفن القصصي في القرآن - بما يحمله من قيم عظيمة - أن يعرض نماذج متعددة من الشخصيات القصصية تمثل الانماط البشرية المختلفة على مر الأزمان ، ليكون لكل فرد وجهته التي هو موليها ، وطريقه الذي هو منصرف اليه ، وليجد في قصص القمم من الخلق مواقف يتأسى بها ، ودروسا يتعلم منها كيفية الاخلاص لله تعالى وما يحققه ذلك الاخلاص من النتائج الخيرة المرجوة ، كما يتعلم أيضا النتائج البائسة التي تترتب على الانصراف عن الله تعالى وعن منهجه القويم . ان مواقف أولئك الابرار مع ابنائهم أو ابائهم في مراعهم المرير من أجل اعلاء كلمة الله يمنح القصة القرآنية دورها الأكيد في بناء الانسان بناء عقليا وروحيا ضمن منهج الفن القويم الذي تسلكه هذه القصة ، وهو منهج يقوم على تأكيد روح الفن من جهة ، وعلى عمق القضية العقائدية من جهة ثانية . لقد أفاد موقف ابراهيم من والده درسا بليغا لمعنى البنوة الحقيقي حين تخلص لعقيدتها اخلاصا لا يقلل من شأنه غضب الأب وسخطه ، ولا يثنيه تآمره مع القوم وكيدهم له . لقد فرضت البنوة السمحة على ابراهيم أن ينهج السلوك المثالي في دعوته لأبيه ، فيخاطبه بما ينبغي أن يخاطب الولد والده في كل حين . والقصة القرآنية اذ تحفظ لابراهيم هذا النهج في الدعوة فلكي تضع أمام الدعاة الى الله تعالى أسلوب العمل المتميز واسلوب الدعوة السليمة الذي ينبغي التمسك به ، والسير على نهجه ، فلا تكون الدعوة الا بالحكمة والموعظة الحسنة ، لقد قابل ابراهيم كفر والده

---

(٣٥) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ٥٣٤ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

واصراره على صنع التماثيل وعبادتها بكل أدب وبكل كلام لطيف نابع من صدق الدعوة وسلامة القلب ومن عاطفة البنوة الحقة . لم يكن أبوه من أحباد الكفرة ، بل كان متميزا عن سائر الكافرين بانه يصنع التماثيل ويبيعها ،بتعبير آخر كان كافرا ومروجا للكفر ، ضالا وناشرا للضلال ، ومع ذلك فلم يقابل ابراهيم هذا كله الا بما ينبغي أن يقابل الابن أباه وهو المصاحبة بالمعروف ، والدعوة الخيره الى الحق . لقد عبر القرآن عن هذه المعاني بهذا النداء المحبب الذي سجله على لسان ابراهيم لأبيه ((يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ،

يا أبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك ، فاتبعني اهدك صراطا سويا ،

ياأبت لاتعبد الشيطان ، إن الشيطان كان للرحمن عصيا

يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا))(٣٦)

ونحن أن نشير الى أن موقف ابراهيم من أبيه قد ترك بصمات واضحة ليس في بناء الشخصية فحسب ، ولكن في البناء القصصي العام في القرآن ، اذ أضفى هذا الموقف على الحديث القصصي ذاته قيمة روحية تترك أثرها الوجداني في المتلقي وتدفعه للتأثر بما يسمع من هذه اللغة الرقيقة وهذا النداء الممزوج بحب الابن لأبيه بالرغم من كفره ، اضافة الى أن شخصية ابراهيم من الشخصيات القصصية المثلى ، التي احتفظت بصفات المثالية بما تشتمل عليه من خلق جم . فضلا عن احتفاظها باستقلاليتها وبكيانها الذاتي الذي لا يتبدل في كل مواقفها . واذا كانت الروايات الحديثة تلح على استقلالية الشخصية واحتفاظها بخط واضح في بنائها القصصي فان القصة في القرآن قد سبقت كل الروايات في ذلك ، يقول محمود تيمور (والواجب أن يبقى للشخصيات كيانها المستقل وأن تظل حية في حركاتها وسكناتها ، وأن يحس القارئ من أعمالها حرارة هذه الحياة ، ويتعرف من فعالها ما تتميز به من شمائل وخلائق ، فلا تتكلم هذه الشخصيات الا بالأسلوب الطبيعي الذي يلائم نفسيتها ، ولا تعمل الا وفق الحوادث على منهجها المرسوم لها)(٣٧)

وبداهة نقول إن استقلالية ابراهيم ، وإحساسنا بحرارة الحياة في شخصيته ، وتعرفنا على صفاته وشمائله قد بدا واضحا في بنائه القصصي وفي بنائه الواقعي ففي البناء القصصي ظلت شخصيته هي الشخصية الرئيسية التي تتجمع حولها خيوط الأحداث القصصية التي تحدثت عن مولده ونشأته وعن موقفه من أبيه وقومه وعن تكسيره للاصنام وما الى ذلك .

---

(٣٦) من الآية ٤١ - ٤٥ مريم .

(٣٧) دراسات في القصة والمسرح . محمود تيمور . مكتبة الآداب ص ١٠٥، ١٠٦

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما في البناء الواقعي فان ابراهيم قد استقل عن أبيه وقومه ، واعتزلهم عزلة مكانية ونفسية . فبعد ان دعا والده الى نبذ عبادة الاصنام ، واتباع منهج الحق ، قابل الوالد ذلك كله بالرفض ، وبتهديد ابراهيم بالرجم وايقاع الاذى به ، فقرر عندئذ اعتزال هؤلاء الناس ، وفصم عرى هذا الانتماء الأسري المتعارض مع المبدأ الذي يدعو اليه .

لقد صورت القصة القرآنية هذا الجزء الأخير من موقف ابراهيم من أبيه بما يؤكد أن الانتماء الأسري هو انتماء عقيدة فحسب ، ولا وزن لأحد بعد ذلك لا يخضع لهذه العقيدة بالتسليم ، لقد انتهى موقف ابراهيم من أبيه بهجرة ابراهيم واعتزال أبيه وقومه ، لقد قال له أبوه فيما يحكيه القرآن : ((أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ، قال سلام عليك ساستغفر لك ربي ، انه كان بي حفيا ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا ، فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ، وكلا جعلنا نبيا))(٣٨) .

وهكذا يظهر أن الانتماء الاسري مقوم هام من مقومات بناء الشخصية ، يترك آثارا واضحة في رحلة هذه الشخصية عبر القصة وعبر الحياة على السواء ، ففي القصة تظل للشخصية القصصية تميزها البطولي في أقوالها وأفعالها وصفاتها ، وهو تميز تراه الروايات الحديثة أساسا هاما في الشخصية البطولية ، وهذا ما نلمسه في شخصية ابراهيم التي رسمها القرآن رسما يعكس عالما داخليا ممتلئا بحب الله والانقياد له ، والاستسلام لأوامره ، وعالما خارجيا مليئا بالكفاح والصبر .

---

(٣٨) ٤٦ - ٤٩ مريم .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

البناء الجمالي للشخصية القصصية

عنيت القصة القرآنية برسم الشخصية القصصية وتوضيح أبعادها بطريقة لا تجعل هذه الشخصية خاضعة للاعتبارات الدينية فحسب ، وانما تجعلها خاضعة للاعتبارات الجمالية أيضا بحيث يتعانق في ذلك البناء الغرضان الديني والفني معا . ويجتمع الحق والجمال على السواء .

ولجأت القصة القرآنية الى ظواهر فنية عديدة تؤكد عظمة البناء الجمالي للشخصية القصصية ، ونستطيع أن نتمثل بعض هذه الظواهر فيما يلي ، أولا : طرق تقديم الشخصية وتناولها تناولا قصصيا ، ثانيا : الشخصية القصصية ولغة القرآن التعبيرية ، وسنشرع في توضيح هذه الظواهر .

أولا : تقديم الشخصية وتناولها تناولا قصصيا :

تنوعت طرق تقديم الشخصية القصصية في القصة القرآنية بتنوع الأغراض الدينية في القصة القرآنية ، واختلفت باختلاف الأهداف السامية التي كانت الشخصية محورا ، لتأكيدها ، ومرآة تنعكس من خلالها .

وكان من مقتضيات الفن والدين أن تتحقق تلك الأغراض من خلال أحداث قصصية تعد الشخصية عنصرا هاما من عناصرها ، ووسيلة لتوجيه الصراع القصصي الذي يكشف عن طبيعتها وأبعادها . من هنا تعددت طرق تقديم الشخصية وتناولها في اطار تلك الأحداث تناولا قصصيا رائعا . ومن هذه الطرق :-

(١) طريقة السرد القصصي :

ونرصد هذه الطريقة في حديث القرآن عن الشخصية والحدث . وتعرف هذه الطريقة بالاسلوب الوصفي ، ويعني هذا الأسلوب (نقل الحادثة من صورتها الواقعة الى صورة لغوية)(٣٩) . وهذا الاسلوب ضرب من ضروب المعالجة الفنية عند كتاب القصة ، ومن أكثر الأساليب شيوعا في الأدب القصصي ، وله أهميته في بناء الشخصية وبناء القصة بشكل عام لأنه يهدف (الى خلق

---

(٣٩) الأدب وفنونه : د. عز الدين اسماعيل ، ١٧٨ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشعور بالألفة والثقة) ولكن على الكاتب أن يحتاط في السرد حينئذ فيبرر الحكاية بما يحيط بها من مجال لتكون مقنعة من الناحية الفنية)(٤٠) . بيد أن في القصة القرآنية شيئا آخر يخالف تلك الأساليب في السمات والخصائص ، ذلك لأن أسلوب القرآن لا يدانيه أسلوب ، وفنه يتجاوز كل الفنون .

وأول مظاهر تميز هذا الأسلوب في القصة القرآنية من غيره من أساليب القص الحرة أنه يعتمد الواقع الفعلي ، والصدق الموضوعي أساسا للتعبير عن الشخصية القصصية ورصد حركاتها الداخلية والخارجية . بينما يستخدم هذا الأسلوب عنصري الواقع والخيال في القصة الأدبية ، وربما كان الواقع أيضا موهوما يخترعه الكاتب اختراعا وهو يحاول أن يؤثر بفنه على المتلقين ، ويدفعهم للتفاعل مع العمل القصصي والشخصية القصصية . ونستطيع أن نلمس واقعية الشخصية وصدقها من واقعية الحدث نفسه ، ومن أسلوب وصف القرآن لها وصفا يستخدم طريقة السرد في تقديمها والكشف عن عالمها الداخلي .

أما واقعية الشخصية القصصية فان أسلوب السرد القصصي قد أسهم بشكل أخاذ في الكشف عن الأبعاد الحقيقية لهذه الشخصية من خلال استبطانها ، وبعث عالمها الداخلي عالم النبوءة ، عالم الصفاء والنقاء ومحبة الآخرين .

ولا بأس أن يكون نوح وهود مثلين - على سبيل التوضيح لا على سبيل الحصر - شاهدين على اسهام طريقة السرد القصصي في تناول الشخصية تناولا قصصيا يتجلى من خلاله عالم الشخصية الداخلي ، ويسهم في توضيح الجانب الوجداني من حياة تلك الشخصية بكل الآمال التي تسعى الى تحقيقها ، والمتمثلة دوما في دعوة الحق واصلاح المجتمع ، والآلام التي تتحملها من أجل ذلك .

يبدأ اسلوب السرد بالعبارات التقريرية التي تكشف عن دعوة تلك الشخصية قومها الذين تلقوا تلك الدعوة بالتكذيب والنفور : ((ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين))(٤١) .

---

(٤٠) النقد الأدبي ، د. محمد غنيمي هلال ، ٥١٥ .

(٤١) ٢٥ - ٢٧ هود .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وتكشف أول مظهر لعالم الشخصية الداخلي وحركتها الباطنية من خلال مشاعر خوف نوح على قومه ، وعلى المصير المؤلم الذي سينتهون اليه . على أنه مما يحسب فنيا لطريقة السرد في تقديم الشخصية أنها كشفت أيضا عن العالم الداخلي لمجتمع الكبراء من قوم نوح ، وهم الملأ الذين كفروا ، لقد بينت تلك الطريقة بعضا من جهل القوم بقيم الحياة ، بله قيم الدين ، انهم يؤمنون بالطبقية بين أفراد المجتمع الواحد ، ويكرسونها في نطاق حياتهم ، فهؤلاء الفقراء في نظرهم أراذل الناس ، ينبغي استبعادهم من مجالس الكبراء الأغنياء . كما ينبغي طردهم ، وقد اتضح ذلك فيما حكاه القرآن الكريم على لسان نوح حين قال ((وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم ، ولكني أراكم قوما تجهلون))(٤٢) . أما حقائق الدين فجهلهم واضح فيها ، وهو جهل ممزوج بالكبر والتعالي ، انه في تقديرنا تجاهل اكثر من كونا جهلا . ويتمثل ذلك في استغرابهم واندهاشهم أن يكون الرسول بشرا منهم ، كما يتمثل أيضا في دمج الشخصية القصصية بغيرها من أتباعها ، ومن ثم نفي الفضل عنهم جميعا ((وما نرى لكم علينا من فضل)) . إن مثل هذه الانفعالات الداخلية تنعكس بكل الوضوح في أسلوب السرد الذي تتوسله القصة القرآنية في تقديم شخصياتها القصصية .

ويتسع هذا الاسلوب لتصوير حقائق الوجدان ومناحي الشعور لدى الشخصية القصصية مما يولد التفاعل ، ويحدث التأثير المطلوب في نفوس القوم لوصفت تلك النفوس مما علق بها من مآثر الجاهلية ومن آثار السفاهة والكفر . لقد كشف هذا الأسلوب عن المستوى الشعوري المتميز لنوح وهو يحاول قومه ، ويخاطبهم في سماحة الداعية ، ومودة الناصح لهم ، ويؤكد نسبته اليهم بقوله فيما يحكيه القرآن بقوله تعالى : ((قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون))(٤٣) انه يقرر مبدأ اختيار العقيدة ، وهو مبدأ لا يقوم على الالزام ولا على الاكراه ، مما يدمج سماحة الشخصية في سماحة العقيدة .

وتتعمق الأبعاد الداخلية للشخصية حين ينتقل أسلوب السرد في تقديمها نقلة جديدة يكشف من خلالها طبيعة تلك الشخصية المجردة من كل عرض من أعراض الدنيا ، أو مطمح من مطامحها الفانية ، حين تظهر تلك الشخصية دون ادعاء أو قيم زائفة : ((ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم

---

(٤٢) من الآية ٢٩ هود .

(٤٣) ٢٨ هود .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سما في أنفسهم ، اني اذا لمن الظالمين))(٤٤). هكذا يجلى العالم الداخلي للشخصية القصصية ، ليتطابق مع العالم الخارجي في اطار من الفن . لقد اسهم اسلوب السرد هذا في توضيح الأبعاد الداخلية للشخصية القصصية بحيث تظهر صافية جلية تناهض كل الادعاءات الزائفة ،وترفض كل الأقيسة المادية الفاسدة .

ومع تكذيب القوم نوحا وتحديهم له بانزال العذاب عليهم ان كان صادقا فيما يقول ، الا أن تلك الشخصية لم تفقد توازنها النفسي ، وظلت شخصية سمحة كريمة في باطنها وظاهرها ، كما ظلت ناصحة لقومها مبينة لهم الحق حتى اللحظة الاخيرة من لحظات الدعوة . كما ظلت عارفة بمقدارها لا تتجاوزه ، وأنها ليست الا شخصية رسول عليه البلاغ فقط ، وأما العذاب فهو في علم الله ، يأتيهم به حسب مشيئته القادرة المقدره . ولا أحد يملي عليه شيئا في ذلك - سبحانه وتعالى عما يصفون - ((قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ، قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين))(٤٥) . بلغة عالم القصة ، فان شخصية نوح ظلت متكافئة مع نفسها بالرغم من تطور المواقف بينها وبين قومها . والتكافؤ ظاهرة فنية تحرص القصص الحديثة على تأكيدها في الشخصية القصصية ، فالكاتب ينبغي ان يجعل (الشخص في القصة متكافئا مع نفسه ، أي منطقيا في صفاته فالشخصيات تتطور في القصة ، ولكنها تظل واضحة الجوانب)(٤٦) . وهكذا كان تصوير شخصية نوح ووصفه من الداخل احدى علامات الفن في أسلوب السرد المباشر.

والجدير بالذكر أن عملية التصوير تعد من أبرز سمات أسلوب السرد الذي تقدم من خلاله الشخصية القصصية ، وتهدف هذه العملية الى خلق أجواء من المتعة الجمالية التي تحيل القصة والشخصية بشكل خاص الى حقيقة ملموسة في الزمان الحاضر ، وليست محض شخصية مضت ، أو حادثة رويت وانتهت . ان عملية التصوير هذه قد أسهمت بشكل واضح في ربط الشخصية القصصية بحركة الحياة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ولئن كان أسلوب السرد يقضي بأن تظهر الشخصية في زمنها الماضي وقت وقوع الحادثة فان سمة التصوير التي تغلب على هذا الاسلوب تجعل الشخصية متخطية دائما حدود الزمان ، متواصلة فيه بشكل يظهر من خلاله جدية الحدث القصصي وحضوره المستمر في وجدان المتلقين على مر الازمان . وهنا لابد أن نؤكد على أن (أي عمل قصصي انما يحكي عن حدث ماض ، ولكن هذا الماضي لا بد أن يشكل على نحو يجعله حاضرا في ذهن قارئ القصة ، ذلك ان حضور العمل شرط اساسي لنجاح العمل القصصي)(٤٧).

---

(٤٤) ٣١ هود .

(٤٥) ٣٢ ، ٣٣ هود .

(٤٦) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ص٥٣٠ .

(٤٧) نقد الرواية : د. نبيلة ابراهيم سالم ، ص٥٢ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ونستطيع ان نبين ملامح التصوير في أسلوب السرد القصصي الذي قدمت من خلاله شخصية نوح من هذا التناسق الصوتي الذي أحدثه توالي الفواصل نوالي تغميا على نحو يخاطب حاسة الوجدان مخاطبته حاسة الفكر ، مما يدفع المتلقي الى معايشة الحدث القصصي من جهة ، والى استظهار جوانب الشخصية والتعاطف معها من جهة ثانية ، فمما جاء على لسان نوح فيما يحكيه القرآن ويسرد قصته مع قومه قوله تعالى :((قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ، فلم يزدهم دعائي الا فرارا ، واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا ، ثم اني دعوتهم جهارا ، ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا ، فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ،ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا))(٤٨).

ويستمر اسلوب السرد في تقديم شخصية نوح ، ولا تخفى قيمة توالي الفواصل في التأثير على وجدان المتلقين وأحاسيسهم بسبب ما يصيب النفس من هزة ايمانية تدفعها الى استشراف المعنى العميق في هذا الكلام المعجز ، ذلك بأن الفاصلة القرآنية ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد: هما شحنة من الوقع الموسيقي ، وشحنة من المعنى المتمم للآية (٤٩) .

ويرتبط بأسلوب السرد في تقديم الشخصية القصصية ظاهرة من أبرز ظواهر القصة القرآنية وهي ظاهرة التكرار ، ونعني اعادة سرد أجزاء من قصة الشخصية في مواضع متعددة من القصة القرآنية ، نحو ما نجد في قصة موسى عليه السلام ، فقد رويت قصته في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، سنذكر منها بدايات القصة مما جاء في بعض المواضع فقط على سبيل التمثيل والتوضيح وليس على سبيل الحصر ، ونشير الى تعدد ظاهرة التكرار في أسلوب تقديم عالمية الشخصيات القصصية . وحسبنا أن نتمثل بما ورد في مقدمة قصة موسى لنقف على الاسرار الفنية لهذه الظاهرة الفريدة في بناء الشخصية القصصية بخاصة ، وبناء القصة القرآنية بعامة . وأول المواضع التي نذكرها في تقديم شخصية موسى والاخبار عنها ، ما ورد في سورة طه في قوله تعالى : ((وهل أتاك حديث موسى ، اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى))(٥٠) ثم ما ورد في سورة النمل في قوله تعالى: ((وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون))(٥١) .

---

(٤٨) الآيات من ٥ – ١٢ نوح .

(٤٩) التعبير الفني في القرآن : د. بكري شيخ أمين ، ص٢٠٣ .

(٥٠) ٩ ، ١٠ طه .

(٥١) ٦ ، ٧ النمل .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وما ورد في سورة القصص : ((فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون))(٥٢) .

واضح من مشاهد الاخبار السابقة تكرار العبارات على نحو يكاد يكون متشابها ، وعلى صورة متقاربة ان لم تكن واحدة . ولكن الذي ننبه اليه ابتداء أن هذا التكرار قد أنشأ ظاهرة جمالية ، وأن غرضا فنيا قد تعلق به وأسهم في تحديد أبعاد شخصية موسى وفي الكشف عن نوازعها الداخلية وهي ترى النار وتستأنس بها خلل هذا الجو الرهيب الذي صادفه موسى في رحلته الى مصر . ولم يكن التكرار محض اعادة العبارات لتأكيد المعنى وتثبيته مما نجده في قصص أخرى غير القصة القرآنية . اننا ينبغي أن ننزه القصة القرآنية عن اعادة نفسها لمجرد الاعادة دون أن يعكس ذلك قيمة فنية أو موضوعية ملموسة للقصة القرآنية ، ونحن نعلم أن كل لفظ في القرآن ، بل كل حرف له أهميته في النظم القرآني ، وله دلالاته الخاصة الموحية التي لا يقوم بهسا سواه من الألفاظ أو الحروف ، فكأنما كل لفظ (فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا ، فاذا نظرت الى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدري ماذا تأخذ عينك وما تدع)(٥٣). فهل يمكن أن نقول بعد ذلك ان مواقف بعينها قد تكررت في القصة القرآنية دون فائدة ؟ ولمجرد التكرار ، بالطبع لا ، وما يجب أن نعرفه أن التكرار ظاهرة موضوعية ، وظاهرة جمالية تدفع الى التعمق في مواقف الشخصية القصصية وتوضيح أبعاد جديدة لها في كل موقف . ها هي ذي شخصية موسى قدمت من خلال ثلاثة مشاهد بأسلوب السرد القصصي الذي يقوم على الاخبار عن الشخصية والحدث ، وتكررت العبارات في هذه المشاهد الثلاثة ، ولكننا نستطيع أن نتلمس الأبعاد النفسية لهذه الشخصية من خلال تلك المواقف بحيث يمكن القول ان كل موقف قد أسهم في كشف نفسي جديد . ففي هذه المواقف يحدث موسى أهله بما وقر في نفسه من المشاعر لدى رؤية النار ، وبما دار في خلده وهو يرى نارا قد تحمل الاطمئنان النفسي له ولأسرته ، اذ يمكنهم أخذ جذوة منها أو قبس يصطلون عليها ، أو لعله يجد أحدا عند تلك النار يهديه الى الطريق . اذن لابد أن يفيد شيئا من هذه النار . وقد تكررت هذه الاحتمالات في المشاهد الثلاثة . ولو رحنا نتصور انسانا تاه في الصحراء ، وهو يحمل أطفاله وزوجته ، ثم يقع فجأة على نار تطمئن بها نفسه ، فمسا المشاعر التي ستنتابه ساعتئذ ، لا أشك أنها ستتجاوز المشاعر الذي انتابت

---

(٥٢) ٢٩ القصص .

(٥٣) النبأ العظيم ـ نظرات جديدة في القرآن ، د. محمد عبد الله دراز ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

موسى عليه السلام ، فان الشخص في مثل حال موسى سيتوزع بين احتمالات الرضا والاطمئنان بأن النار ستكون دفئا له على أقل تقدير ، وبين احتمالات الرجاء أن يجد طريقة أو يجد أحدا يعينه في طريقه . ولا شك أنه سيحدث أهله بكل هذه المشاعر . من هنا تكررت هذه الاحتمالات على لسان موسى في السور الثلاثة :

((لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى))
((سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون))
((لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون))

والذي نميل اليه هو أن موسى عليه السلام قد حدث أهله بهذه الخواطر جميعا ، وتوسل هذه المقولات لبعث الطمأنينة والاستبشار في نفس الزوج . وكانت تلك المقولات أشبه بحديث تجاذب أطرافه مع أهله وهو يحاول تسليتهم واشاعة البهجة في نفوسهم قبل أن يخطو الخطوة العملية نحو تلك النار ، فكأنه قد أعاد الحديث مرة بعد مرة على مسامع الأهل . وقد صور القرآن هذا التتابع في القول بحسب ما ورد على لسان موسى وما ورد في خواطره . لذا فهو مرة يقدم الاستبشار بالنار ذاتها على الاستبشار بالهدى من تلك النار . وحين تتدافع خواطره عليه السلام ، ويعيد الرأي على أهله يقدم استبشاره بخبر سيهديه على تلك النار على الاستبشار بالنار ذاتها ، وكل الاحتمالات قائمة في نفس موسى وفي وجدانه . وحين يعرضها القرآن فلكي يصور ما في تلك النفس من مشاعر الرجاء والبشرى مما سيجده عند تلك النار ، (وهذا التصوير الرقيق لأحوال النفس ومسارب الخاطر لا يمكن أن يكون في غير القرآن ، ولا يمكن أن يحتمله نظم غير نظم القرآن ، ثم انه لا يمكن أن يكون على صورة مقبوله مع هذا التكرار الا اذا جاء موزعا كما هو في هذه المعارض الثلاثة ، والا تراكمت ألوان الصورة وتدافعت ، ولطم بعضها وجه بعض (٥٤) .

وهكذا تكررت العبارات القرآنية لتكشف عما دار في مشاعر موسى ، ولتؤكد أيضا صدق الحدث وواقعيته في منطوق الشخصية وبحسب أحوالها المتباينة ، بحيث يتأكد ما قررناه من أن اعادة النصوص القرآنية قد جاء ضمن معطيات ايمانية وفنية تسعى القصة القرآنية الى تأكيدها من خلال شخصياتها القصصية ، وأن هذا التكرار قد جاء أيضا ضمن هذه القاعدة العامة : (أن كل سورة من سور القرآن على اطلاقها لها شخصيتها المتميزة وجوها الخاص ، وكل نص من نصوص القرآن ـ وان بدا متشابها ـ فانه يأخذ جو السورة التي يرد فيها ، ومن ثم تكون له ملامحه الخاصة في كل مرة)(٥٥) .

---

(٥٤) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : عبد الكريم الخطيب ، ص ٦١ ، ٦٢ .
(٥٥) دراسات قرآنية : محمد قطب ، ص ٢٤٨ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثمة ظاهرة فنية نلمسها في طريقة السرد في تقديم الشخصية القصصية تظهر من خلال عرض القصة في مشاهد وحلقات يسهم كل واحد منها في توضيح جانب من جوانب العبرة والعظة، كما يسهم في الهيكل الفني العام للقصة، وحين تضم هذه المشاهد الى بعضها يتكون لدينا بناء فني كامل يعد آية من آيات الروعة والجمال القصصي في تاريخ الآداب . (على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة - يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها . فمعظم القصص يبدأ باشارة مقتضبة ثم تطول هذه الاشارات شيئا فشيئا ، ثم تعرض حلقات كبيرة تكون في مجموعها جسم القصة وقد تستمر الاشارات المقتضبة فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات حتى اذا استوفت القصة حلقاتها عادت هذه الاشارات هي كل ما يعرض منها (٥٦) .

(٢) أسلوب الحوار :

وهو الطريقة الأخرى التي قدمت من خلالها الشخصية القصصية في القرآن وهذا الاسلوب يكاد يكون من أبرز الأساليب المستعملة في القصص الفنية في غير القرآن ، ومن أهم الوسائل التي يعتمد عليها القصاصون في رسم شخصياتهم ، غير أن له في القرآن حلاوة تلامس الاسماع ولذة تصل القلب والعقل ، وصفة يقصر دونها الوصف ويطرب لها السامع ، ويعجب بها القارئ وهو فوق ذلك (يتضمن من المعاني ما يجتاز به نطاق قصته الخاصة ليكون خطابا يتردد صداه عبر الزمان والمكان)(٥٧) .

وللحوار أهمية في العمل القصصي ، تتمثل في (رفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة ، وشعورها الباطن تجاه الحوادث والشخصيات الأخرى ، وهو ما يسمى عادة بالبوح أو الاعتراف)(٥٨) . على أن هذه الأهمية تأخذ بعدا جديدا لا يكاد يعرف في غير القصة القرآنية ، وهو أن الحوار ليس وسيلة للكشف عن عواطف الشخصية وأحاسيسها فحسب ، بل لتقييم هذه العواطف والأحاسيس ، وقياسها بمقياس الدين حينا وبمقياس قيم الحياة حينا آخر ، فيظهر التأييد لأصحاب العواطف الصادقة والأحاسيس المكذوبة ، وهذا ما يميز الحوار بين الشخصيات في القصة القرآنية عن غيرها من قصص الفن . اننا نحس للحوار ضمن هذا المفهوم غاية تعليمية وعظيمة بجانب غاية المتعة المرتقبة منه ، فكأن القصة القرآنية تضع أسسا جديدة للحياة ينبغي أن تستفاد من المواقف الحوارية بين الشخصيات في القصة القرآنية .

---

(٥٦) التصوير الفني ١٥٦ .

(٥٧) نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، ص١١٣ .

(٥٨) في القصة ، د. محمد يوسف نجم ، ١١٨ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ففي قصة يوسف تواجهنا شخصيات الأخوة في موقفين ، أحدهما كانت العواطف فيه صادقة سليمة ، وباطن الشخصيات كان نظيفا ، فجرى الحوار على ألسنتهما هينا طيبا ، يعكس قوة الأداء دون تعثر أو اضطراب . فحين رجع أولئك الأخوة الى أبيهم دون أخي يوسف الذي أخذه في دين الملك باذن الله ، وكان له يوسف ذلك بسرقة صواع الملك باذن الله ، حاروا في أمرهم ، وتخوفوا من مقابلة أبيهم بهذا الخبر ، بالرغم من صدقهم . فدار بينهم هذا الحوار الذي بدأ بقوله تعالى : ((فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا :

قال كبيرهم : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ، فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا أن ابنك سرق ، وما شهدنا الا بما علمنا ، وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون (٥٩) .

وتبدو قوة عجيبة تسري في ألفاظ هذا الحوار ، فتكسبه حرارة وتدفقا ، فلا تكاد تلك الألفاظ تخرج من أفواه الأخوة حتى يرتسم المشهد مشخصا بكل أبعاده النفسية ، وبكل خلجة أو خاطرة جرت على اللسان فوصلت الى الاسماع والقلوب . انظر كيف حمل الأخوة خبر السرقة الى أبيهم ، لقد نقلوه اليه بأسلوب الاخبار وليس التقرير ، فهم لم يروا تلك السرقة وانما أعلموا بها ، فهما هم أولاء يشهدون بما علموا لا بما تأكد لديهم ، فهم لا يستطيعون جزم الأمر ، فالله تعالى وحده يعلم ان كان قد سرق أم لا ، ((يا أبانا ان ابنك سرق ، وما شهدنا الا بما علمنا ، وما كنا للغيب حافظين)) ان سلامة عواطفهم في هذا الموقف ، وصدق مشاعرهم كانت هي القوة التي أنطقتهم بهذا الأسلوب الرفيع الذي يعكس مواقف الرجال ضمن مفاهيم الحق والشرف والمروءة . فكأنهم ربأوا بأنفسهم عن أن يؤيدوا اتهام أخيهم بالسرقة . وان يسري هذا الاتهام في وجدانهم كأنه حقيقة واقعة . لذلك فقد جاء منطوق الحوار موازيا في ضبطه لصدق تلك النوايا ، مؤيدا للحق الذي يحمله الأخوة بين جنباتهم ، مقيما الدليل على ذلك كله ((واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون)) .

---

(٥٩) ٨٠ – ٨٢ يوسف .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولم ينعكس هذا الصدق في الأداء الحواري فحسب ، بل انعكس أيضا في نفسية الأب ، اذ أدرك أن أبناءه صادقون ، وان موقفهم الآن مغاير لموقفهم السابق من ضياع يوسف ، فها هو ذا يخاطبهم بنفس الاحساس الصادق وسلامة العاطفة فيقول : ((يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون)) (٦٠).

اما الموقف الآخر الذي يعكس فيه الحوار ما يدور في خلد شخصيات الاخوة حين تلتوي عواطفهم ، وتسفح مشاعرهم بدافع الكيد والحسد ، فهو الموقف الذي بيت فيه اولئك الأخوة نية الكيد ليوسف ، والتخلص منه . فتقدموا الى أبيهم للسماح ليوسف بمرافقتهم في رحلة الرعي التي سيقومون بها من الغد :

قالوا : يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ، أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون .

قال : اني ليحزنني ان تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون (٦١)

.....

.....

((وجاءوا أباهم عشاء يبكون))

قالوا : يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا ، فأكله الذئب، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)) (٦٢).

لقد عكس هذا الحوار بواطن الشخصيات التي انطوت على الكيد والمكر ، فكل لفظة فيه تزيح الستار عن ناحية من نواحي الشعور الكاذب ، وتكشف عن خاطرة مزعومة من خواطر الحيل والدهاء . فقولهم ((مالك لا تأمنا)) تشعر منذ البداية أنهم غير مأمونين فعلا على يوسف ، انها توحي بعدم الثقة فيهم أكثر من الأمانة والثقة التي قصدوا اليها بهذا التعبير ، انهم يحاولون أن يدفعوا عن أنفسهم منذ البداية صفة الكيد ، وخلق المكر الذي يعتمل في نفوسهم ، فنراهم ينكرون على الأب عدم ثقته بهم ، فيديرون حوارهم معه بالاستفهام مرة ((مالك لا تأمنا ؟)) وبالتأكيد مرة ثانية ((وانا له لناصحون)) وبالنفي في المرة الثالثة ((وما أنت بمؤمن لنا)) وهذه

---

(٦٠) ٨٧ يوسف .

(٦١) ١١ – ١٣ يوسف .

(٦٢) ١٦ – ١٧ يوسف .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الأساليب مجتمعة تعكس خفايا النفوس ومكنونات الصدور الحاقدة ، وبخاصة أسلوب التأكيد ، (فذكر النصح هنا وهو الصفاء والاخلاص يشي بما كانوا يحاولون اخفاءه من الدغل المريب)(٦٣) .

ثم انظر كيف استغلوا عنصر الزمان في اخفاء ما انطوت عليه نفوسهم من الكذب ، فاختاروا وقت العشاء ليخفوا زعما باطلا رسموه على وجوههم وفي أعينهم . وانظر أيضا الى تلك الكلمات المموهة والملفقة التي حاولوا تفسير الموقف من خلالها : ((انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف)) لقد وازت تلك الكلمات المرتعشة في ألسنتهم مشاعر الحقد التي التهبت في صدورهم منذ زمن. فجاءت على هذه الصورة من الاضطراب الذي فضح نواياهم ودل على اختلال أعصابهم. كذلك كان تذرعهم بحكاية الذئب المكشوفة وسيلة دفع بها الحوار الى تعرية الشخصيات من الداخل ، وساعد على كشف مظاهر الحقد التي تغلي في صدور الأخوة على أخيهم والنيل منه ، مما يدفع المتلقي الى نبذ هذا الاحساس من جهة ، والى التعاطف مع الاخ المظلوم من جهة ثانية وذلك من خلال لحظات شعورية متدفقة تحقق للحوار ذاته مستوى فنيا مميزا يعرف بالاصابة الفنية ، التي تنعكس من خلالها غايات الفن وأهدافه السامية . وهنا يتأكد دور الحوار في بعث هذه النشاطات النفسية للمتلقي ، وتحريك قواه العقلية ازاء ما يسمع من قصص الذكر الحكيم . ويتميز الحوار في القصة القرآنية بأنه يتسع في تساوق سام ونسق جميل للتعقيبات القصصية عقب جمل الحوار ذاتها ، فتملأ الفراغات التي تقع في ثناياها ، وتهدف الى ربط المتلقي بغايات الحدث القصصي ذاته ، وعظاته البالغة بأسلوب يتيح لهذا المتلقي ان يشارك بعقله في البناء القصصي ، ويضيف عليه من توليدات العقل ما يجعله حاضرا في وجدانه دائما .

ونلاحظ في أسلوب الحوار في تقديم الشخصية في القرآن الكريم وجود تعقيبات ايمائية لها دورها في البناء القصصي من النواحي الفنية . أما من ناحية الفن فيشكل هذا التعقيب لحمة تجعل الحوار القصصي عالما حيا نابضا بالاعجاز الالهي والمقدرة الربانية ، كما وجهت الحوار ذاته نحو مجريات المواقف والأحداث بحيث اندمج في صلب القصة ولم يكن دخيلا عليها ، مما ساعد على تقوية عنصر الدراما للموقف القصصي بشكل عام .

وتبدو التعقيبات في الحوار منسجمة تماما مع مضمون الحوار بحيث يخيل للمتأمل أنها جزء من الحوار نفسه ، وليست لازمة من لوازم الحدث القصصي . وهنا تتميز القصة القرآنية عن سائر القصص ، اذ تعد مثل هذه التعقيبات

---

(٦٣) في ظلال القرآن ٤ : ١٩٧٤ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تدخلا سمجا من المؤلف حين ينهي حوار الشخصيات ببعض العبارات الوعظية ذات الهدف التعليمي ، والتي تصادر على المتلقي فكره ، وتمنع تعايشه مع الأحداث ونتائجها . ان روعة البناء القصصي هي التي تجعل هذه التعقيبات لونا من التشكيل الجمالي الذي يبعث في الحوار الحيوية والتدفق .

((فلما ألقوا سحروا أعين الناس ، واسترهبوهم ، وجاءوا بسحر عظيم))٠

((وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك ، فاذا هي تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وألقي السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون))(٦٤)٠

هكذا بدت التعقيبات في المشهد السابق تلتحم في البناء الحواري ، وتسهم في استحضار حلقاته وتجميعها على نحو يجعل للقارئ منافذ يصل بها الى القصة ، فتمتلئ نفسه بظواهر الاعجاز فيها دون أن يشعر أن هذه التعقيبات شيء آخر يختلف عن الحوار ، فالقاء عصا موسى ، ونزع يده ، بعض من هذه التعقيبات التي دفعت الحدث القصصي الى حافة التأزم ، بعد أن رأى فرعون وقومه ما رأوا من آيات الاعجاز فيها هم أولاء قد اجمعوا أمرهم على الكيد من موسى ، فأرسل فرعون الى كبار السحرة في قومه ، وبدأوا يعدون العدة لملاقاة موسى وهزيمته .

ثمة ظاهرة فنية تميز الحوار ـ كأسلوب في تقديم الشخصية القصصية ـ وهي أن البناء الحواري يختلف من حيث الطول والقصر حسب المواقف ، وحسب امكانية تصويرها تصويرا لا يعكس جزئيات الموقف فحسب ، وانما يعكس أيضا باطن الشخصيات وعالمها الداخلي وهي تواجه تلك المواقف بكل خلق النبوة الكريمة ، وملابة موقفها إزاء الحق الداعية اليه ، والعقيدة التي ترفع لواءها . واذا كان الحوار جزءا من الأسلوب التعبيري في القصة بوجه عام ، الا أنه أيضا (صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه)(٦٥)٠

ونحب أن نقرر أن تباين البناء الحواري في تقديم الشخصية في القرآن من حيث الطول والقصر له مبرراته الفنية . فالفن يقضي بألا يلتزم القاص أسلوبا واحدا في قصصه ، وله أن يختار ما يناسب الموقف القصصي والشخصيات القصصية ، وإلا خضع في فنه الى آلية قد تسلبه حقه في حريته الفنية ، فضلا عن مجافاتها لروح الفن الطليق .

---

(٦٤) الآية [١١٦] ـ ١٢٢ الأعراف .

(٦٥) فن القصة ، د. محمد يوسف نجم ، ص١١٧ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وتبلغ القصة القرآنية مكانة في هذا المجال لم تبلغها سواها من القصص فان تنوع الحوار من حيث الامتداد والقصر صورة من صور الاعجاز البياني للقصة ، لأن كل لون لا يستخدم الا بما يمليه الموقف ، وبما تقتضيه ضروب البلاغة في ايجازها واطنابها . فقد يختصر الموقف الحواري ، وتطوى فيه التفاصيل حين يغني القليل من العبارات عن الكثير ، وحين لا يكون غير الكلمة الناطقة الموحية وسيلة من وسائل التصوير . على أن اختصار الموقف لا يعني بالضرورة عدم تفصيله ، كما لا يعني طول الموقف المامه بجوانب الحدث كافة . اذ قد يطول ذلك الموقف طولا بينا ولكنه لا يتناول الا جانبا واحدا ، بينما يختصر موقف آخر ولكنه يعكس القضية برمتها وأبعادها العقائدية .

ونحب أن نقرر أن الحوار في القرآن يهدف إلى إشراك المتلقي في مضمونه ، ويفسح له المجال أن يجول بفكره وخياله ليملأ فراغات يتعمد الموقف الحواري اغفالها ، فاذا هو يتفعل بالموقف ويتفاعل مع احداثه ، ويدرك العظمة التي تقف خلفه ، كما لا يحس أثرا للصنعة في الحوار ، ولا أثرا للخيال ، وانما يتلقى ما يتلقاه بصدق وواقعية تتردد في نفسه كما صورتها الألفاظ ، ونطق بها المتحاورون ، والتي أغنت دلالاتها المباشرة عن كل وسائل التشخيص والتمثيل ،مما يصعب على المتلقي أن ينسى تلك الألفاظ ، أو يبدلها غيرها . كما يصعب عليه أن يجسمها في مشاهد تمثيلية أو تشخيصية حتى لا يذهب رونقها ، ويفتت طاقاتها الموحية . وقد ذهب أحد الفضلاء من الباحثين الى أن (تمثيل القصص القرآني – ان أريد تمثيله – يذهب بكثير من القوى الكامنة في كلماته ، وأن مقاييس الحركات المسرحية لا تستطيع أن تنضبط على ما توحيه الكلمات بذاتها من حركات) (٦٦) .

كما ونحب أن نقرر أن الحوار حين يستخدم أسلوبا في تقديم الشخصية القصصية فانه يقدمها وفق منازعها الذاتية في الحياة ، ووفق تكوينها النفسي والخلقي والديني بحيث يكون منطوق الشخصية انعكاسا لما تحمله في جنباتها من مشاعر قوة العقيدة وصلابة الفكر السديد ، فلا نحس أن أحدا يلقنها هذا الحوار أو يمليه عليها. وللقرآن في هذه الخصوصية المثل الأعلى، فهو يترك للشخصية حريتها في مضمون التعبير وفي الأسلوب الذي تختاره لذلك ، ليظل لها واقعيتها الصادقة ، ووجودها الذاتي ، في حين أن كثيرا من القصص الأدبية تسقط فنيا بسبب إجراء الحوار على لسان الشخصيات حسب نظرة المؤلف وطريقته وليس حسب منزع الشخصية وارادتها ، مما يجعلها غير قادرة على تمثيل الدور وادائه . ان ما يميز القصة القرآنية انها تعتمد على الدور الذي تؤديه الشخصية بحيث لا يتجاوز هذا الدور الشخصية ذاتها ، ولا تسمو الشخصية على الدور الذي أنيط بها .

---

(٦٦) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، ص ١٤١ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وفي الحوار متسع لانطلاقة الشخصية القصصية في القصة القرآنية ، اذ حرصت تلك القصة على أن تدع الشخصية تتكلم وتبث عواطفها وأحاسيسها وان تعلن عن موقفها بارادة حرة واختيار ذاتي ، وفي تقديرنا ان لهذه الارادة دافعا دينيا بقدره المولى عز وجل ، ومفهومه - والله أعلم - أن الشخصية القصصية في الدفاع عن العقيدة ، وفي مواجهة الخصوم وتحمل الآلام في سبيل ذلك انما تؤدي واجبا دينيا تثاب عليه ، وموقفا عقائديا قدر لها ، فكيف تتميز بذلك ان لم تترك لها حرية الاختيار .

ونستطيع أن نرى هذه الحقائق ماثلة في حوار موسى مع فرعون في المشهد السابق ، وفي مشاهد القصة القرآنية كلها بحيث يتأكد أن الحوار وسيلة عظيمة من وسائل تقديم الشخصية القصصية والكشف عن عالمها الباطني ، عالم القوة الدينية ، وعالم النقاء والاخلاص .

ثانيا : <u>الشخصية القصصية ولغة القرآن</u> :

=======

سنتبين براعة النظم القرآني ، ورفعة أسلوبه من خلال لغة القرآن التي جاءت محملة بكل عناصر البيان على ألسنة الشخصيات القصصية ، لتؤكد أصالة القصة القرآنية ورفعة شأنها وخضوعها لكل الاعتبارات الانسانية وعلى رأسها الاعتبار الجمالي . وأول مظاهر هذه البراعة تتجلى في أن القرآن الكريم قد أنطق كل شخصية من الشخصيات القصصية بما يتناسب مع صفاتها وتكوينها النفسي والخلقي . فخلق انسجاما تاما ولحمة شديدة بين واقع الشخصية وواقع اللغة ، فكانت الشخصية مترجمة للاحساس الجمالي المنبعث من ثنايا الألفاظ والعبارات، كما كانت اللغة محددة لأبعاد الشخصية ووسيلة كاشفة لمعالمها . فاللغة - كما يرى نقاد القصة - ينبغي أن تكون بمثابة دلالة خفية لخصائص نفسية الشخصيات)(٦٧) .

ولعل هذه الظاهرة من الظواهر المحظورة في القصص الأدبية الطليقة ، التي تعاني من تسطح الشخصية القصصية وعدم قدرتها على الاندماج في اللغة التي تجري على لسانها ، بسبب ضعف الهمة عند كثير من القصاصين والعجز عن تشكيل الشخصية وفق اعتبارات اللغة المنطوقة على ألسنتهم . ولا نذيع سرا اذا قلنا ان هذه القضية أيضا من القضايا التي شغلت النقاد الذي يرون دائما أن لغة الحوار - وبخاصة ما يتصف منه بالسمو وجودة الوصف - ليست من

---

(٦٧) بنية الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر ، د. احمد ابراهيم السيخواري ، ص ٢١٤ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

واقع الشخصيات التي تتحدث به ، مما يسبب انفصالا بينا بين الأسلوب وموضوع القصة أو بين الواقع والقصة (وهذا الانفصال يحول دون القارئ والاندماج الكامل في القصة ، بل ويخيل اليه أن الذي يتحدث بين السطور هو الكاتب نفسه ، وأن الشخصيات ليست سوى دمى يمغاوية ، تنطق بما تلقن ، ولا تدري في الواقع فحواه ، ومن هنا يبدو التكلف والتصنع)(٦٨) .

ان الصلة بين الشخصية واللغة من أبرز معالم البناء الفني للشخصية القصصية في القرآن ، وهذه الصلة تؤكد للغة صفة الواقعية . وهي واقعية مطلوبة في القص الطليق ، وقد أشار اليها النقاد كظاهرة فنية من ظواهر بناء الشخصية القصصية وضربوا لها الأمثال/فقد رأوا أن (المقصود بواقعية اللغة ملاءمتها لشخصيات الرواية ، فهي الواقعية النفسية والعقلية والعاطفية ، فلا يتحدث أمي بأفكار الفلاسفة)(٦٩) ، وان أية نظرة في كتاب الله ستكون شاهدا على احكام هذه الصلة وفق غايات القصة الدينية ، ووفق غاياتها الجمالية أيضا .

وسترسل نظرتنا الى شخصية كريمة اتسمت بالحلم والانابة الى الله تعالى، والتضرع اليه في جميع مواقفها ، اذ لم تفارقها رشادة العقل ، وسعة الصدر في أية لحظة مرت بها ، حتى اللحظات التي تدفعها الى التأزم ، انها شخصية ابراهيم الخليل عليه السلام .

ونحب أن نشير منذ البداية الى أن كلام الشخصية القصصية في القرآن هو كلام الله تعالى ، وأن ما تنطق به تلك الشخصية من مفردات وعبارات يمثل الاعجاز البياني في قمة صوره في القرآن ويعكس قدرة العزيز الحكيم . ومع ذلك فاننا نرى أن ما سجل من لغة على لسان الشخصيات هو من هذا القص القرآني الحق الذي كان وسيلة الى غايات عديدة في القرآن ، وسيظل يعكس خصائص الشخصية ويكشف عن معالمها ، شأنه في ذلك شأن القمر المنير ، الذي يرتد جماله الى قدرة خالق السماوات والأرض بالرغم من خصوصية الجمال المنبعثة فيه . فخصوصية جمال لغة الشخصية تأتي من تعبير تلك اللغة عن الشخصية ومن مقدرتها على الكشف عن واقعها وواقع الحياة التي تعيشها .

لقد كان في منطق تلك الشخصية دلالة أكيدة على صفاتها ، فلم ينطقها الحق عز وجل الا بما يحقق عمق هذه الصفات في علاقتها الأسرية والمجتمعية ، فكان

---

(٦٨) دراسات في القصة العربية الحديثة : د. محمد زغلول سلام ، ص١٠٩ .
(٦٩) في الأدب والنقد ، د. محمد مندور ، ص١٥٥ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سحابه يتخير من الألفاظ والعبارات التي تتشكل في مستويات دلالية تظل متحاورة مع واقع الشخصية وصفاتها ومع واقع الحدث القصصي ذاته .

وتسوق هذا الحوار الذي يحكي حدثا تنطق به الكلمات ، ممزوجة بأحاسيس شخصية ابراهيم المعروفة بالحلم وسعة الصدر والصبر ، ففي سورة مريم يواجه أباه بهذه العبارات التي تفيض صدقا ورقة ، وتشرق بنور النبوة السمحة :

يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا .
يا أبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك ، فاتبعني أهدك صراطا سويا .
يا أبت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمن عصيا .
يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٧٠) .

وغني عن القول أن تكرار النداء بلفظ الأب يوحي بأكثر من صفة الحلم التي وصف بها ابراهيم ، انه يوحي بما وصفه به القرآن من الاصطفاء في الدنيا والفلاح في الآخرة . أليس هذا النداء من مظاهر الاصطفاء التي تفرض على الشخصية سلوكا محببا ، وصفات مرجوة . أليس من صلاح الآخرة أن يدعو المرء الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة . كذلك كان ابراهيم .

ان استخدام ابراهيم للغة الحكمة والحلم هذه - ضمن ارادة الله تعالى له في هذا الاستخدام - يجعل اللغة عاملا هاما في تشكيل نهج الدعوة الى الله تعالى في اطارها الموضوعي الذي تتعاقب الأجيال على حمله ، وعلى بصيرة من هذه اللغة وبوحي من ذلك الأسلوب . ومن هنا فان لغة الشخصية تصبح ضمن هذا المفهوم لغة زمانية تسهم في خلق اطار فكري واحد على مر الأزمان متجاوزة الدلالات المحددة التي تصور الواقع العام للحدث الى دلالات تنطق بحقيقة ذلك الحدث ، وتكشف عن مضامينه وخفاياه . فكلمات ابراهيم - التي دعا بها قومه - تنقل الواقع كما هو ، فتعلن عن ضلال عقيدة أبيه في اتخاذ الأصنام آلهة تعبد ، وفي اتباع الشيطان الذي يدعو ذلك الأب الى مصيره المؤلم كما تعلن عن خوف الابن على أبيه من ذلك المصير .

هذه هي حقيقة الحدث في ظاهرها كما صورتها عبارات القرآن التي وردت على لسان الشخصية ، ولكن من خلف هذه الحقيقة تتراءى حقيقة أخرى تدرك بالنظر الثاقب والقلب الواعي لمثل هذا الكلام العظيم . فصفات عدم السمع والابصار ، وعدم الاغناء التي وصفت بها الاصنام تدل على أكثر من المعنى

---

(٧٠) الآيات ٤٢ - ٤٥ مريم .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الظاهر وهو انتفاء المسفعة منها ، إنها تدل على حقيقة الخالق الذي ينبغي أن يعبد ، فهو السميع وهو البصير ، وهو المجير الوحيد لعباده على نحو لا يملك أحد أن يدفع عن نفسه ولا عن غيره شيئا من قضائه .

ثم كلمة (الرحمن) تنبئ - فوق مدلولها الظاهر - عن صفة من صفات الله أحب ابراهيم أن يسمعها أباه ، وقربها بجو العذاب الذي سيؤخذ والده به ان لم يتراجع عما هو فيه ((إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن)) ، فليست هذه الكلمة محض تذكير بالذات الالهية فحسب ، بل انها تذكير بصفة من صفاتها العظيمة في موقف يستدعي هذه الصفة دون غيرها .

وهكذا نجد لغة الشخصية لم تقف عند دلالتها اللفظية ، بل انها بجانب تعبيرها عن هذه الدلالات - أبانت عن دلالات أخرى ، ومعان خفية حددت معالم الشخصية القصصية الحاملة لتلك اللغة ، كما حددت طبيعة الحدث القصصي في تشكيله اللغوي المتوازن .

ولسنا في حاجة الى تأكيد علاقة اللغة من حيث هي أصوات بالابعاد النفسية للشخصية القصصية ، فتلك قضية أجمع النقاد المحدثون على أهميتها في العمل القصصي الجيد اذ رأوا أن (اللغة بوصفها صوتا تساعد على كشف النقاب عن تلك العلاقات والمواقف الذاتية للشخصية الواحدة من خلال النبرات الصوتية التي تحدد طبيعة تلك العلاقات والمواقف ، فلعل المستوى الصوتي للكلمات المستعملة ، في مثل هذه المواقف يبدو على طرف يقابل الطرف الذي تقف فيه دلالتها ، بمعنى أن الصوت في الكلمة أحد أركانها المحددة لمضمونها ، بينما تبدو الدلالة اللغوية هي المبدعة الحقيقية لذلك الصوت حتى ان اختلفت طرق التعبير للكلمة الواحدة)(٧١) .

ولنأخذ نموذجين من الشخصيات القصصية ، كل واحد منهما متميز بصفات مخالفة لأخيه ، وهما موسى وابراهيم عليهما السلام ،فموسى نموذج للشخصية التي تعتمد على صفاتها الجسمية القوية في حمل الرسالة السماوية وابلاغها . أما ابراهيم فهو نموذج للشخصية الحليمة الهادئة التي تعتمد على قوة حجتها ووضوح منطقها . ولننظر الى اللغة التي جرت على لسان كل منهما لنلحظ التباين الصوتي المنسجم مع الصفات الواضحة في كل منهما ، ففي الوقت الذي تبدو فيه لغة موسى متوترة بشكل يساير الحدث ، يظل طابع الهدوء والحلم هو المميز للغة ابراهيم ، فإذا اللغتان مختلفتان سواء من حيث تشكيلهما تشكيلا

---

(٧١) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د. نصر محمد إبراهيم عباس ، ص٢٦٩ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

خارجيا يتمثل في نبرة الكلمة ذاتها وترتيب حروفها ترتيبا لفويا أم من حيث تشكيلها تشكيلا داخليا يعكس الانفعالات الصاخبة داخل النفس أو بعكس حالات اطمئنانها وهدوئها . ولنختر موقفا متماثلا لدى الشخصيتين بحيث تكون قراءة سباين المستوى الصوتي للغة أقرب الى الموضوعية .

والموقف هو أن كلا من الشخصيتين قد سأل ربه سؤالا يعز علينا نحن من بشريتنا القاصرة ـ تفسيره أو حتى ذكر دواعيه , لأنه نابع من علاقة ايمانية سمت بها بشرية الشخصية فوق كل المحسوسات , واستشرفت النور الأعظم بقلبها الممتلئ محبة لله واخلاصا وطاعة . لقد سأل موسى ربه أن يمكنه من النظر اليه تعالى , فقال : ((ربه أرني أنظر إليك))(٧٢) هكذا يوجهه حبه لله تعالى , الى هذا السؤال , ويدفعه شوقه الذي يعتمل في أعماق نفسه الكريمة فلا يجد بدا من افراغه بعدما أحس بكل الاخلاص والصدق قرب العلاقة بالله تعالى. وهو احساس يستطيع كل مؤمن أن يدركه حين تصفو نفسه لله , ويخلص الطاعة اليه تعالى, فاذا هو قريب منه , يستشعره في كل اللحظات ويحس به في كل الأزمنة . على أننا لا نرغب في الخوض في هذا السؤال , ويكفي ما اجتهد فيه المفسرون , ولكننا سننظر الى اللغة فقط باعتبارها نظاما صوتيا مثل الأبعاد النفسية لشخصية موسى في هذا الموقف العجيب .

لقد ترفق الحليم الخبير بموسى حين وجه اليه هذا السؤال , فبين له استحالة رؤيته تعالى في الدنيا , وأثبت له بالدليل العملي والبرهان الواضح الجلي عجز البشر عن رؤية الله وتحمل نوره العظيم الذي تخر له الجبال : ((قال لن تراني , ولكن انظر الى الجبل , فإنه استقر مكانه فسوف تراني , فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا))(٧٣) .

فماذا كان جواب موسى بعد ما ادرك حقيقة عجزه وعجز البشرية عن تحمل النور العظيم والذات الجليلة .

لقد وصف القرآن رد الفعل لدى موسى , وأبان عن جوابه عليه السلام بقوله تعالى ((فلما أفاق قال : سبحانك , تبت اليك , وأنا أول المؤمنين))(٧٤) واننا لنجد ألفاظا لها تشكيلها الصوتي المميز , ولها طاقاتها التي تكشف التفاعلات الايمانية داخل نفسية موسى ,من ذلك مثلا هذان

---

(٧٢) من الآية ١٤٣ الاعراف .
(٧٣) من الآية ١٤٣ الاعراف .
(٧٤) من الآية ١٤٣ الاعراف .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفعلان المضارعان المسندان الى ضمير الفاعل والذان تصدرا القول ، وهما : (أرني ، أنظر) فانهما يعكسان شعورا بالثقة بالنفس ، وأن باستطاعة موسى أن يتحمل ما لا يتحمله أحد من البشر . وانظر الى الفعل (تبت) فان تشكيله محاصر بهاتين التاءين قد جعله أشبه بتمتمات الخائفين المذعورين ، وهكذا كانت حال موسى لقد أصابه الذعر من رؤية الجبل مدكوكا ، فأحس في أعماق نفسه احساسات متنوعة دفعته حتما الى الخوف والهلع وزيادة الايمان . فها هو ذا يصرح بانه (أول المؤمنين) حتى هذه العبارة قد تشكلت صوتيا بحيث تساير احساس الخوف الذي أصاب موسى ، وتعكس في الوقت نفسه صفات الاندفاع الى الخير والسرعة بالمعروف التي عرفت عنه عليه السلام ، فهو لم يرض أن يكون من المؤمنين وانما أراد أن يكون أولهم شأن المندفعين الى الخير دائما .

أما سؤال ابراهيم فقريب من سؤال موسى ومشترك معه في دوافع المحبة لرؤية يد الله تعمل ، وقدرته تتجلى فوق الوجود بعدما تجلت داخل النفوس ، وفي الضمائر . لقد سأل ابراهيم ربه بقوله فيما حكاه عنه القرآن الكريم : ((واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أو لم تؤمن قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي))(٧٥) .

واضح أن سؤال ابراهيم مختلف في طبيعته عن سؤال موسى ، وهو يعكس طبيعة ابراهيم الحليمة والمتشوقة الى اكتشاف المجهولات من أمور العقيدة الغيبية التي تطلع اليها ابراهيم منذ أن كان صغيرا حين رأى القمر وحسبه ربه ثم رأى الشمس وحسبها كذلك ثم أعلن براءته من كل ذلك ووجه وجهه الى فاطر السماوات والأرض ، فلا عجب أن تساير لغته تلك الصفات التي عرف بها ، واننا لنجد في ألفاظه ما يوحي بها جميعا فاستعماله للفعل (تحيي الموتى) دون سائر الأفعال ينبئ عن تراخ زمني قد يستغرق وقتا تظل فيه الشخصية بهدوئها وحلمها مهيأة للانتظار ورؤية النتائج . وبالفعل قد تم ذلك حين أمر بأخذ أربعة من الطير يقربهن اليه ويتحسس ميزات كل واحد منها حتى لا يخطئها ثم يقوم بذبحها وتمزيقها ، ومن ثم يوزعها على عدد من الجبال ، وهكذا في تراخ زمني لا يقدر على استيعابه الا نبي كابراهيم فيه من الحلم وهدوء الأعصاب ما يعينه على ذلك .

ثم انظر الى استعماله للفعل (يطمئن قلبي) فان مجرد لفظ هذا الفعل يوحي بالنفسية الهادئة المطمئنة .

---

(٧٥) من الآية ٢٦٠ البقرة .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهكذا تباينت لغة الشخصيتين بتباين صفات كل منهما مما يعد بحق اعجازا بيانيا رائعا أسهم في بناء الشخصية القصصية بناء مميزا .

وتتميز لغة الشخصية القصصية بقدرتها على استيعاب ظواهر البلاغة العربية وأدواتها البيانية والبديعية بكل ما تحمله تلك الظواهر والأدوات من طاقات تعبيرية ينتقل من خلالها المعنى المقصود الى المتلقين بأسلوب جمالي بعيد عن التكلف والصنعة ، سيظل شاهدا على الاعجاز البياني للقرآن الكريم . وسيضيق البحث عن تتبع أدوات البيان والبديع التي تسللت بكل لطف الى كلام الشخصيات فحققت وقعا جماليا منحت المعنى المقصود أبعادا جديدة يدركها المتلقي للقرآن .

ومن هذه الأدوات البديعية ما يعرف في البلاغة بالالتفات ، (وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا ، وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة ، كانتقال من خطاب حاضر الى غائب ، أو من خطاب غائب الى حاضر ، أو من فعل ماض الى مستقبل ، أو مستقبل الى ماض أو غير ذلك) . وسمى أيضا (شجاعة العربية) وانما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الاقدام ، وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ، ويتورد ما لا يتورده سواه ، وكذلك هذا الالتفات في الكلام ، فان اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات)(٧٦) وقد وقع الالتفات على لسان هود حين خاطب قومه فيما حكاه عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ((قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن بمؤمنين ، ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال اني أشهد الله ، واشهدوا ، أني برئ مما تشركون))(٧٧) فالالتفات قد وقع هنا بالعدول عن الفعل المستقبل ((اني اشهد الله)) الى فعل الأمر ((واشهدوا)) وكان السياق يقتضي أن يقول ((وأشهدكم)) ، ولم يكن هذا العدول من المستقبل الى الأمر محض انتقال من اسلوب الى أسلوب طلبا للتوسع في الكلام ، وانما كان لاعتبارات موضوعية . ومن هذه الاعتبارات ما اشار اليه ابن الأثير حين رأى أن الالتفات من المستقبل الى الأمر انما (يقصد اليه تعظيما لحال من اجري عليه الفعل المستقبل وتفخيما لأمره ، وبالضد من ذلك فيمن أجري عليه فعل الأمر)(٧٨) .

---

(٧٦) المثل السائر - ابن الأثير ١٨١/٢ تحقيق د. احمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار الرفاعي الرياض ، ط الثانية .

(٧٧) ٥٣ ، ٥٤ هود .

(٧٨) المثل السائر ابن الأثير ، ١٩٢/٢ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ونهذا الرأي وجاهته ، ولكنه في الوقت نفسه لا يكشف عن الطاقات الدلالية الكامنة في هذا الأسلوب ، ونحن لا نطالب ابن الأثير بأكثر من ذلك ، وحسبه أنه لمس الاعتبار الزمني للالتفات وهو الانتقال أيضا من خطاب الحاضر الى الغائب ، أو من خطاب غائب الى حاضر ، أو من فعل الماضي الى المستقبل ، أو من المستقبل الى الماضي ، أو غير ذلك ولنا نحن أن نتساءل عن الغايات المتنوعة والدلالات الموحية من هذه الانتقالات ، بعدما عرفنا أن المسألة ليست توسعا في أساليب الكلام ؟ .

لا شك أن لهذا الانتقال غاياته الفنية التي تؤكد عظمة استخدام اللغة بشكل يجعل العمل القصصي متواصلا عبر أزمان غير محددة بزمن الحدث القصصي ذاته ، بمعنى أن تتجاوز اللغة خصوصية التعبير عن الموقف في زمنه المعروف لتصبح أكثر شمولا ، وأعمق دلالة تنفذ الى أعماق المتلقين في أزمان مختلفة ، ومواقف ثابتة تولدت من الموقف الأصلي وأصبحت نهجا مرسوما لكل الناس ، وهنا تشير الى هذه الخاصية التي تميزت بها لغة القرآن ، وأكدت عليها الدراسات النقدية القصصية ، فقد رأت تلك الدراسات (أن لغة القصة اذا ما استخدمت بكفاءة بالغة فانها تجعل الماضي واقعا معاشا ، وتنمت بالحاضر الى رؤية مستقبلية مشحونة بالتوقعات ، كما أنها تحمل الاشعاعات الفكرية والعاطفية وتجعل الشخصية تعيش اللحظة تلو اللحظة في حدة وحيوية بحيث تجعلها تنمو مع حركة الزمن)(٧٩) .

فمن هنا يسهم الالتفات في جعل الزمان عنصرا فعالا في توضيح دعوة الشخصية القصصية حين لا تتحدد تلك الدعوة بزمن معين ، بل تفتح آمال المستقبل وتوقعاته بصيغ ماضية تنبئ عن تحقق تلك الآمال تحققا فعليا كأنه حصل وانتهى ففي الدعوة الى التوبة التي فتح بابها موسى الى قومه بعد اتخاذهم العجل أسهم الالتفات في تأكيد تحقق قبول التوبة من خلال التعبير عنها كعمل سيقع لهم مستقبلا بصيغة الماضي الذي كأنه وقع وانتهى . ففي قوله تعالى : ((واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل، فتوبوا الى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم))(٨٠) .

نقول في هذا القول الكريم كان السياق يقضي بأن تستمر الصيغة بزمن الاستقبال ، اذ نتوقع أن يتحقق قبول التوبة باذن الله تعالى مستقبلا كأن

---

(٧٩) نقد الرواية : د. نبيلة ابراهيم ، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى ص٤٤ .

(٨٠) ٥٤ البقرة .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يقول لهم (فيتوب عليكم) ، ولكن عدلت تلك الصيغة الى الزمن الماضي في قوله تعالى : ((فتاب عليكم)) لاشعارهم باخلاص الشخصية لهم ، وصدق دعوته لهم الى التوبة ، وبأنها متحققة باذن الله لا محالة .

وترتسم من خلال أنواع البديع المتقنة في القصة القرآنية بعض ملامح الشخصية القصصية حين تستخدم تلك الأنواع وسيلة للكشف عن أحاسيسها ومشاعرها الداخلية ، وتحرص على أن تطبع في وجدان المتلقين عبر لغتها المتقنة شيئا من تلك المشاعر التي انطبعت في وجدانها ، فهي تتوسل بعض ألوان البديع التي تخدم ذلك الغرض . ففي قول عيسى عليه السلام مناجيا ربه فيما يحكيه عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ((ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم))(٨١) نجد تشابه الأطراف قد أدى غرضين عظيمين من أغراض القصة القرآنية ، فبجانب تأكيد رحمة الله عز وجل بعباده ، وقدرته على انزال العذاب بهم أو رفعه عنهم فان بعض ملامح شخصية عيسى قد تكشفت من خلال هذا اللون من المحسنات البديعية عبر هذه اللغة المجنحة بالجمال والسلاسة ، والتي أمسك بعضها برقاب بعض دون خلخلة أو اضطراب ، وجاء آخرها مناسبا للمعاني في أولها وفق ما يعنيه تشابه الأطراف (٨٢) . فالعزة والقدرة مناسبة لانزال العذاب والحكمة السديدة مناسبة للمغفرة . وبين هذا التشابه تظهر بعض خصائص شخصية عيسى المحب لأتباعه ، الحريص عليهم ، المتطلع الى مغفرة الله تعالى لهم .

بقي أن نشير الى الصورة القرآنية ودورها البارز في تميز لغة الشخصية القصصية ، اذ عالجت الشخصية من خلال بعض عناصر تلك الصورة جانبا من واقع أقوامها وتكوينهم النفسي الذي يقف حاجزا أمام تلبية دواعي الايمان . كما أسهمت تلك العناصر في تعرية الواقع المرير الذي يؤذن الكفرة والمشركين بزوال لاحق وهلاك ماحق . فها هو ذا موسى عليه السلام يستخدم الكناية وسيلة تصويرية للكشف عن بعض الصفات الذميمة في أقوام من سبقه من الرسل الكرام حين عبر أولئك الأقوام عن غيظهم وضجرهم من دعوة أنبيائهم لهم ، كما عبروا عن كفرهم وفحشهم بحركات تنبئ عن قلة الذوق وسوء الأدب ، وذلك بأن ردوا أيديهم الى أفواههم استهزاء وسخرية .

---

(٨١) ١١٨ المائدة .

(٨٢) تشابه الأطراف من ألوان البديع يلحق بمراعاة النظير ، ويعني أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى ، كقوله تعالى : «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير» . فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً به . (انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ١/ ٤٩٠، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط٥، ١٩٨٠.)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

واللغة القرآنية اذ ترسم هذه الحركة عبر الكناية اللطيفة التي نطق بها لسان موسى فلكي تترجم واقعا فرديا يحذر موسى قومه من الوصول اليه والتهافت فيه . فمما ورد في ذلك قوله تعالى على لسان موسى لقومه ((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ، جاءتهم رسلهم بالبينات ، فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ، وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب))(٨٣) .

وما أصدق القرآن حين عرض حال بعض أولئك الأقوام عبر كناية أخرى لطيفة نطقت بها شخصية نوح عن قومه ، فكانت تمهيدا للنبأ الذي حذر موسى قومه منه .

ان هذه الكناية التي وردت على لسان نوح شبيهة بالتي حكاها موسى لقومه بعد تطاول الأزمان بين هاتين الشخصيتين الكريمتين ، فهما هم أولاء قوم نوح يستغشون ثيابهم هربا من سماع دعوة نبيهم لهم ، واستهزاء به وبدعوته ، لقد وصف القرآن هذا الموقف بقوله تعالى على لسان نوح مناجيا ربه ((واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا))(٨٤) .

فالواضح أن الكنايات قد تلاءمت مع واقع القوم ، فأبانت عن موقفهم النفسي . بيد أن هذا الموقف لم تحلله عبارات الكناية وانما أومأت اليه وفتحت الطريق نحوه . فلنا أن نتصور ما توحيه عملية رد الأيدي في الأفواه أو استغشاء الثياب التي يهرع اليها فور سماع دعوة النبي . انها توحي بالرفض والكفر المصحوبين بالسخرية ، كما توحي بما تفور به نفوسهم من الحقد ، وما تميز به من الغيظ . وان الكناية لتؤكد هذه الحقائق من خلال القيمة الجمالية التي عرفت بها منذ ان بحث فيها علماء البلاغة وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني . فقد أشار الى أن مزية الكناية وقيمتها الجمالية انما تدرك من خلال تأكيد الكناية للمعنى واثباته ، فيقول (ليس المعنى اذا قلنا ان الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في اثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد)(٨٥) . وما أجمل صدق هذا القول ، انه يعكس ما عرف عن عبد القاهر من رهافة الحس ، وسمو الذوق . ذلك لو أننا نظرنا الى جو الكنايتين العام لرأينا كل واحدة منهما قد صبغت في اطار ايحائي يسعى الى تثبيت المعنى في النفس دون النظر الى حقيقة

---

(٨٣) ٩ ابراهيم .

(٨٤) ٧ نوح .

(٨٥) دلائل الاعجاز ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ص٥٦ ، بيروت ، ١٩٧٩م .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وجوده أو عدمه ، فالمعنى موجود وحاصل ، وتكذيب الأقوام السابقة لأنبيائهم لا يحتاج الى دليل . وانما يهدف السياق الى تأكيد فحشهم وسوء أدبهم في تعبيرهم عن الكفر والتكذيب ، وتأكيد اصرارهم . فجاءت الكناية معبرة عن هذا الاصرار مؤكدة له ، كما جاء السياق مدعما للكناية في هذه الغاية . انظر الى العبارات التي اعقبت الكناية ، ودارت دورتها الذكية معها كيف اعتمدت على أكثر من أداة تأكيد : ((فردوا أيديهم في أفواههم))

((وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به))

((وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب))

وبالمثل ما ورد على لسان نوح ((واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ، وأصروا ، واستكبروا استكبارا)) .

وهكذا فان لغة التصوير بالبديع العفوي المتميز وبيانها الأخاذ وسيلة ترجمت أحاسيس الشخصية نحاه أقوامها ، وأبانت على أحوال أولئك الأقوام بشكل متناسق أثر بصورة جمالية ملموسة في هيكل الفن القصصي في القرآن الكريم .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثبت المصادر و المراجع

١ ـ الأدب وفنونه ـ د. عز الدين اسماعيل ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ط ٧ ، ١٩٧٨م .

٢ ـ الايضاح في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني ـ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ـ دار الكتاب اللبناني ـ ط. الخامسة ١٩٨٠م .

٣ ـ التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق ـ بيروت ط. السابعة ١٩٨٢م .

٤ ـ التعبير الفني في القرآن ـ د. بكري شيخ أمين ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ط . الثالثة ١٩٧٩م .

٥ ـ تفسير ابن كثير ـ الحافظ ابن كثير ـ دار القلم ـ بيروت/لبنان .

٦ ـ التفسير الكبير ـالفخر الرازي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة .

٧ ـ الجامع لأحكام القرآن ـالقرطبي ـ تحقيق أبو اسحق ابراهيم .

٨ ـ جامع البيان المعروف بتفسير الطبري ـ ط. مصطفي البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ط. الثانيه ١٩٥٤م

٩ ـ دراسات في القصة العربية الحديثة ـ د. محمد زغلول سلام منشأة المعارف الاسكندرية .

١٠ـ دراسات في القصة و المسرح ـ محمود تيمور ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة .

١١ـ دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ط. الثانية ١٩٨٠م .

١٢ـ دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٨م .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

١٣- الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ - د. نصر محمد عباس - شركة عكاظ للنشر والتوزيع - جدة ١٩٨٤م - ط. الاولى .

١٤- فن القصة - د. محمد يوسف نجم - دار الثقافة - بيروت .

١٥- فنون الأدب - تشارلتن - ترجمة زكي نجيب محمود .

١٦- في الأدب والنقد - د. محمد مندور - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٩م .

١٧- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - بيروت - ط. العاشر ١٩٨٢م .

١٨- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح - أحمد موسى سالم - دار الجيل - بيروت ١٩٧٨م .

١٩- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه - عبد الكريم الخطيب - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

٢٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل - الزمخشري - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

٢١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ابن الأثير - تحقيق احمد الحوفي، وبدوي طبانة - دار الرفاعي - الرياض - ط. الثانية .

٢٢- النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن - د. محمد عبد الله دراز - دار القلم - بيروت ١٩٧٠م .

٢٣- نظرات في القرآن - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة - القاهرة - ط. الخامسة .

٢٤- نظرية الرواية في الأدب الانجليزي الحديث - د. انجيل بطرس سمعان - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٥- النقد الأدبي الحديث - د. محمد غنيمي هلال - دار نهضة مصر للطباعة .

٢٦- نقد الرواية - د. نبيلة ابراهيم سالم - ط. النادي الأدبي - الرياض ١٩٨٢.

٢٧- نقد الرواية في الأدب العربي الحديث - د. احمد ابراهيم الهواري - دار المعارف - مصر ١٩٧٨م .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ملخص

درس البحث ثلاث ظواهر قصصية يمكن أن تعد أسسا ثابتة لنظرية بناء الشخصية القصصية في القرآن الكريم بناء قصصيا يضيف - الى صدق الحقيقة - براعة الأداء القصصي ، ويحفظ للقرآن الكريم ريادته في وضع أسس فن القصة ونظرياتها المتصلة بالشخصية القصصية . وهذه الظواهر هي :

أولا : المقومات الأساسية لبناء الشخصية القصصية ، وتتضمن :

أ - مولد الشخصية ونشأتها .
ب - صفات الشخصية القصصية .
ج - الانتماء الأسري .

ثانيا : البناء الجمالي للشخصية القصصية ويتضمن أسلوبي تقديم الشخصية القصصية وهما :
أسلوب السرد وأسلوب الحوار .

ثالثا : لغة القرآن الكريم التي جرت على ألسنة الشخصيات القصصية بحيث جاءت تلك اللغة موازية لصفات الشخصية .

ويظل البحث محاولة جادة : وضع إطار قصصي يستمدّ مقوماته في القرآن الكريم .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

The Theory of Narrative Character Delineation in the Holy Qor'an: An Introduction

Abstract

This paper examines three narrative phenomena which can be considered as solid bases for the theory of narrative character delineation in the Holy Qor'an. Such delineation adds skillful narration to the truth of the matter, and maintains for the Holy Qor'an its priority in laying the foundation of the art of narration, and the theories pertinent to narrative characters. These phenomena are:

1. The basic constituents for the delineation of narrative characters. This embraces:
   a) The birth and origin of the character.
   b) Characteristics of the narrative character.
   c) Familial belonging.
2. Aesthetic delineation of the narrative character. This includes the two methods of introducing the narrative character: narration and dialogue.
3. The language of the Holy Qor'an as uttered by the narrative character and its parallelism with the characteristics of this character.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com